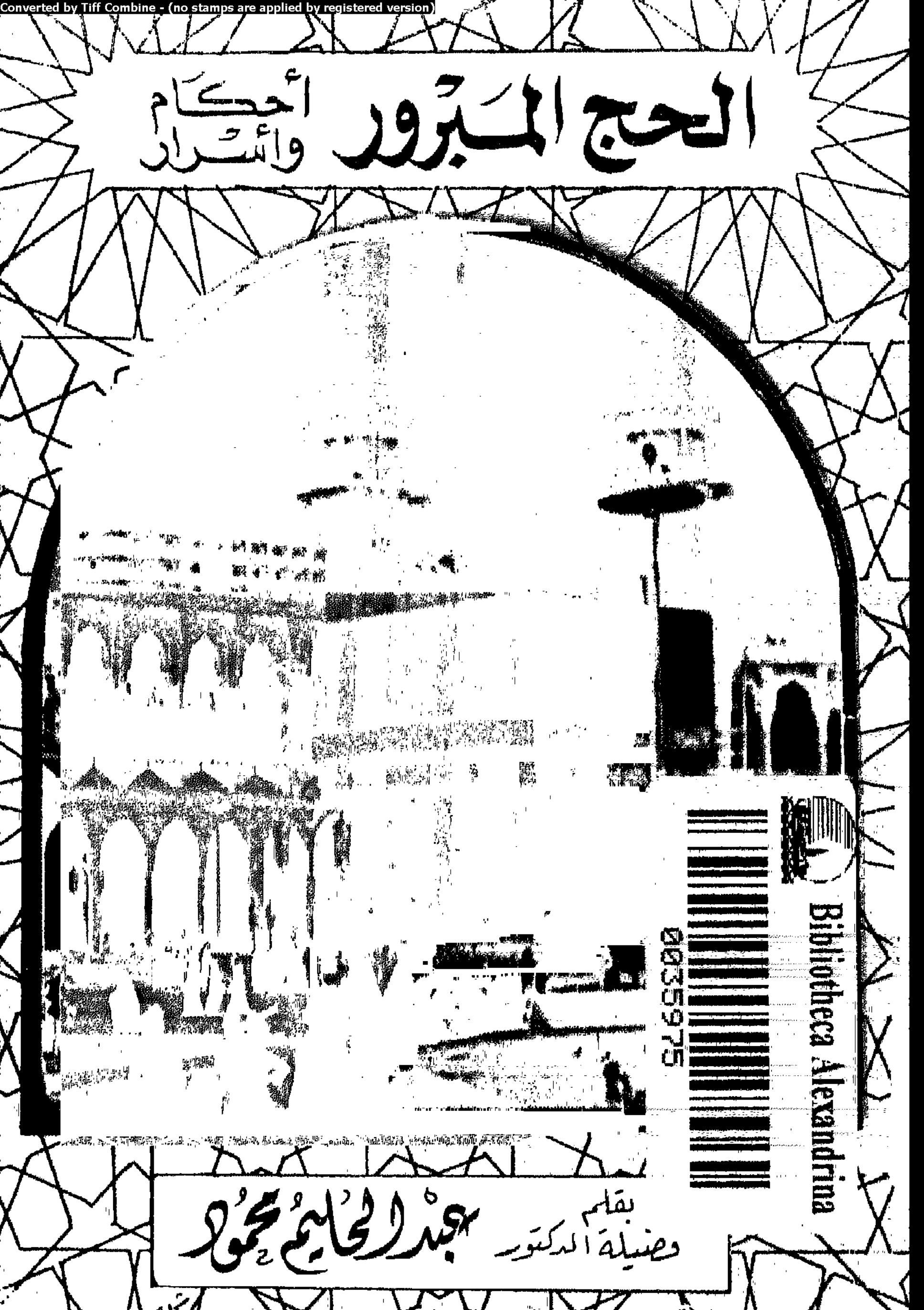
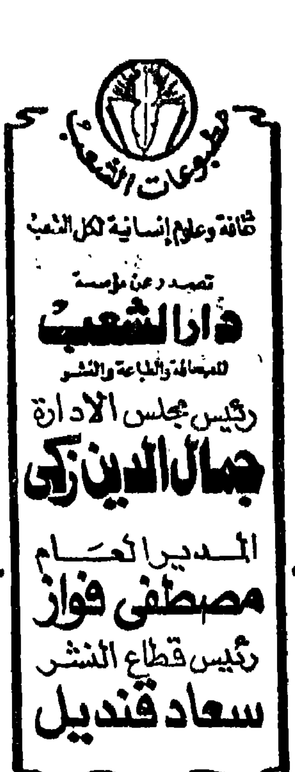
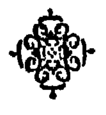


الحج المبرور

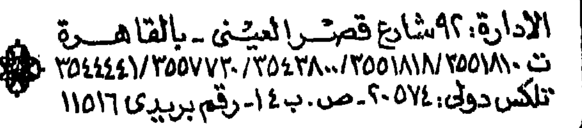
أحكام وأسرار

بقلم فضيلة الدكتور
عبد الحليم محمود





ستظل القاهرة .. دائما قلب العروبة والإسلام
النابض .. تتبوأ مكانتها التاريخية والحضارية ..
فى عالم الفكر والثقافة والنشر !!



الإدارة: ٩٢ شارع قصر العينى - بالقاهرة
ت ٣٥٥١٨١٠/ ٣٥٥١٨١٨/ ٣٥٤٣٨٠٠/ ٣٥٥٧٧٣٠/ ٣٥٤٤٤٤١
تلكس دولى: ٢٠٥٧٤ - ص. ب ١٤ - رقم بريدى ١١٥١٦

الغلاف تصميم ، شحاتة على

الحجّ المبرُور

أحكام وأسرار

بقلم

فضيلة الدكتور

عبد الحليم محمود

دار الشعب

٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة

تليفون ٣١٨١٠



بسم الله الرحمن الرحيم

ـ الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه الى يوم الدين .

وبعد ..

فيقول الله سبحانه وتعالى :

((وربك الغفور ذو الرحمة)) .

ولأنه ـ سبحانه ، غفور ، ولأنه رحيم ، فتح أبوابا كثيرة يدخل منها طلاب المغفرة والرحمة الى مغفرته ورحمته .

من ذلك ، ما رواه الامام مسلم ـ بسنده ـ عن ابن شماسة المهرى قال :

((حضرنا عمرو بن العاص ، وهو فى سياقة الموت :

فبكى طويلا وحول وجهه الى الجـــدار ، فجعل ابنه يقول : يا ابتاه ، أما بشرك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكذا ؟ .. اما بشرك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكذا ؟ ــ قال :

فأقبل بوجهه ، فقال : ان أفضل ما نعد : شهادة أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله انى قد كنت على أطباق ثلاث (١) لقد رايتنى وما أحد اشد بغضا لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ منى ، ولا أحب الى أن اكون قد استمكنت (٢) منه فقتلته ، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار .. فلما جعـــل الله الاسلام فى قلبى اتيت النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقلت : ابسط يمينك فلأبايعــك .. فبسط يمينه ؟ قال : فقبضت يدى ــ قال : مالك يا عمرو ؟ ..

قال : قلت : اردت ان اشترط .. قال : تشترط بماذا ؟

قلت : أن يغفر لى ..

---

(١) احـــوال ..

(٢) اى تمكنت .

قال :

أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ..

وما كان أحد أحب الى من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أجل فى عينى منه .. وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه اجلالا له . . ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأنى لم أكن أملأ عينى منه : ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة » .

وعن الحج خاصة ، يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الشيخان وغيرهما :

« من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ..

وعن عبد الله بن مسعود - فيما رواه الترمذى وغيره - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

« تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير (١) خبث الحديد ، والذهب

---

(١) المنفاخ الذى ينفخ به الحداد .

والفضة .. وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » .

وعن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« الحجاج والعمار وفد الله : دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم » ..

الحج ـ اذن ـ من كبريات الوسائل التى يصل الانسان عن طريقها الى رحمة الله ومغفرته ..

ولكن ، أى حج ؟

ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول :

« الحج اشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله : وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا اولى الألباب » ..

والآية الكريمة تنهى الحاج عن أمور ثلاثة :

أولها : الرفث ـ يقول ابن كثير : « فلا رفث » أى

. من احرم بالحج او العمـرة فليجتنب الرفث ، وهو الجماع ، كما قال تعالى :

« احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم »

وكذلك يحرم تعاطى دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك ، وكذلك التكلم به بحضرة النساء .. روى ابن جرير : بسنده ان عبد الله بن عمر كان يقول : الرفث اتيان النساء ، والتكلم بذلك للرجال والنساء اذا ذكروا ذلك بأفواههم (١) ..

وثانيها : الفسوق : وعنه يقول ابن عمر :

« الفسوق ما اصيب من معاصى الله صيدا أو غيره .. »

---

(١) ويقول صاحب الترغيب : الرفث : بفتح الراء والفاء جميعا .. روى عن ابن عباس انه قال : الرفث : ما روجع به النساء ، وقال الازهرى : الرفث :كلمة جامعة لكل مايريده الرجل من المراة .. قال الحافظ « المنذرى » . الرفث يطلق ويراد به الجماع ، ويطلق ويراد به الفحش ، ويطلق ويراد به خطاب الرجل المراة فيما يتعلق بالجماع ، وقد نقل فى معنى الحديث كل واحد من هذه الثلاثة من جماعة من العلماء .. واننا نرى ان الرفث هو كل هذه المعانى .

وروى ابن وهب ـ بسنده ـ عن ابن عمر ، قال ؟
« الفسوق اتيان معاصى الله فى الحرم » .

وقال آخرون : الفسوق هاهنا السباب .. قاله ابن عباس ، وابن عمر ، وغيرهم من الصحابة والتابعين : وقد يتمسك لهؤلاء بما ثبت فى الصحيح : « سباب المسلم فسوق قتاله كفر .. ولهذا رواه هاهنا الحبر أبو محمد بن أبى حاتم ، من حديث سفيان الثورى ، عن زبيد ، عن أبى وائل : عن عبد الله ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر .. وما من شك فى أن الفسوق هو كل هذه المعانى ، ومن الواضح أن كل معنى منها لا يتعارض مع المعنى الآخر ..

وثالثها : الجدال ، وهو كما قال ابن عباس : المراء فى الحج .. وعن عبد الله بن مسعود : فى قوله تعالى : « **ولا جدال فى الحج** » .. قال : ان تمارى صاحبك حتى تغضبه ..

ولقد سئل ابن عباس عن الجدال .. قال : المراء .. « تمارى صاحبك حتى تغضبه .»

وعن نافع ، عن ابن عمر ، قال : « الجدال فى الحج ، السباب والمنازعة » .. والجدال فى الوضع الشامل هو كل هذه المعانى .

وترشد الآية الكريمة ـ فى صورة تتضمن التوجيه والتشجيع والحث على عمل الخير ، قائلة : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله » ..

أى : ويؤتى فاعله جزاء ما قدمت يداه من معروف

وتأمر الآية الكريمة بالتزود : ((وتزودوا » .. ثم تقول :

((**فان خير الزاد التقوى**)) .. قال العوفى : عن ابن عباس : .

كان اناس يخرجون من اهليهم ، ليست معهم ازودة ، يقولون : نحج بيت الله ولا يطعمنا ؟ .. فقال الله : ((**تزودوا مايكف وجوهكم عن الناس**)) وروى ابن أبى حاتم ـ بسنده ـ عن عكرمة أن ناسا كانوا يحجون بغير زاد ، فانزل الله : ((**وتزودوا فان خير الزاد التقوى**))

وعن ابن عباس قال : كان اهل اليمن يحجون

ولا يتزودون ، ويقولون : نحن المتوكلون .. فأنزل الله :
« **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** » ..

وقوله :

« **فان خير الزاد التقوى** » ..

يقول الامام ابن كثير : لما أمرهم سبحانه بالزاد للسفر فى الدنيا : ارشدهم الى زاد الآخرة ، وهو استصحاب التقوى اليها ، كما قال : « **وريشا ، ولباس التقوى ذلك خير** » لما ذكر اللباس الحسى ، نبه : مرشدا الى اللباس المعنوى : وهو الخشوع والطاعة والتقوى ، وذكر انه خير من هذا وأنفع ـ قال عطاء الخرسانى فى قوله : « **فان خير الزاد التقوى** » ـ يعنى : زاد الآخرة وروى الحافظ أبو القاسم الطبرانى ـ بسنده ـ عن جرير بن عبد الله ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (من يتزود فى الدنيا ينفعه فى الآخرة) .

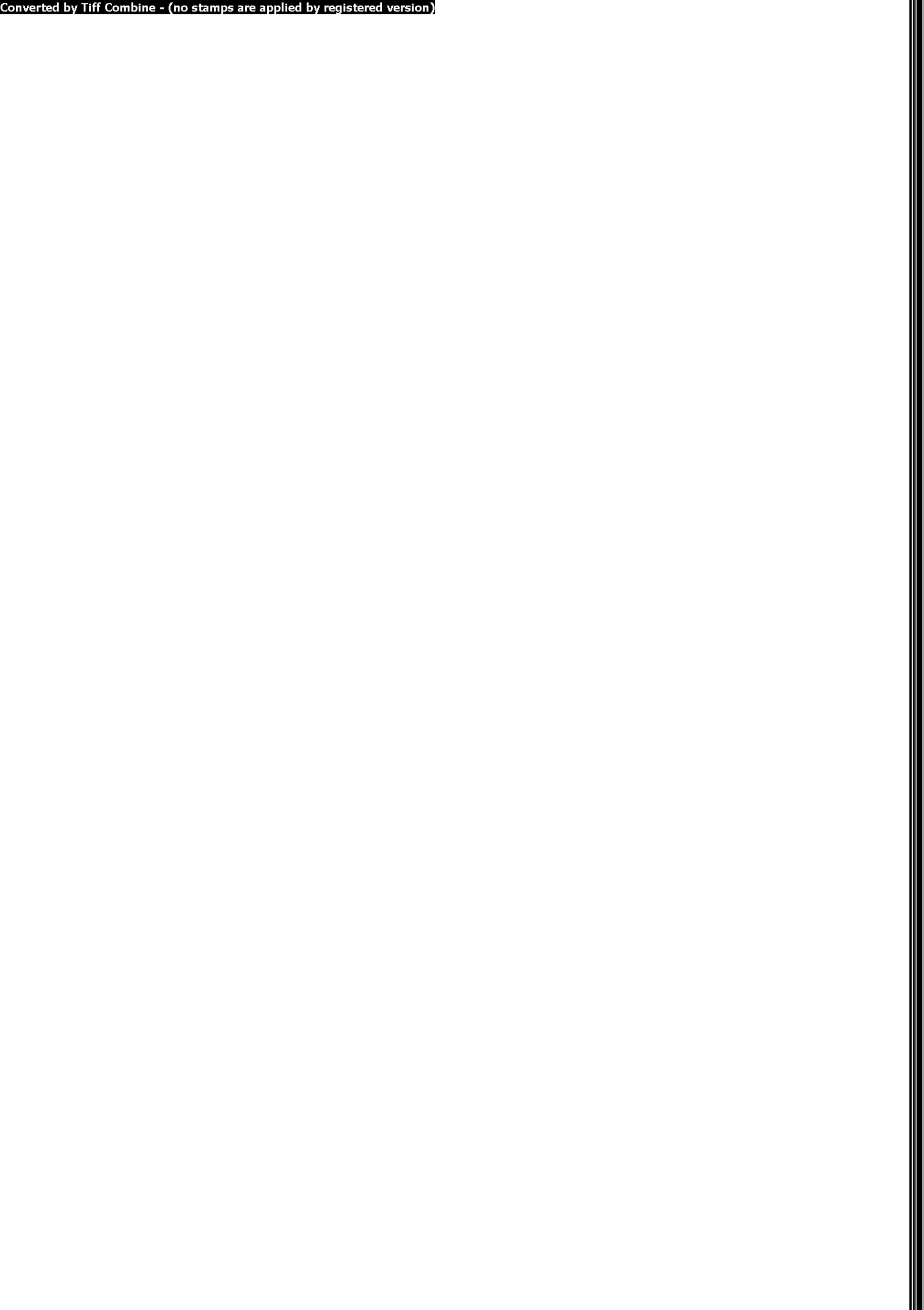
« **واتقون يا أولى الألباب** »

يقول : « **واتقوا عقابى ونكالى وعذابى ان خالفنى ولم يأتمر بأمرى ، ياذوى العقول والأفهام** » ..

ونعود فنتساءل : كيف يكون الحج الذى يخرج

الانسان منه مطهرا من الذنوب كيوم ولدته امه ؟ كيف يكون الحج المبرور ؟

ان هذا الكتاب محاولة لبيان هدى الله ورسوله فى ذلك ، والله نرجو أن ينفع به ويجعله من الوسائل التى تهدى الى كيفية الحج المبرور الذى ليس له جزاء الا الجنة .



الفصـــل الأول

الحج من أركان الإسلام



يقول الله تعالى :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فى سؤال جبريل اياه عن الاسلام ؟ فقال :

الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، وان تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتحج ، وتعتمر ، وتغتسل من الجنابة ، وأن تتم الوضوء ، وتصوم رمضان .

قال : فاذا فعلت ذلك فانا مسلم ؟

قال : نعم ..

قال : صدقت (١)

---

(١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، وهو فى الصحيحين وغيرهما بغير هذا السياق فى الاسلوب ولكنه متحد فى المعنى .

فريضة الحج مرة :

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : « يا أيها الناس : ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟

فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه »(١)

افضل الأعمال :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اى العمل افضل ؟

قال : ايمان بالله ورسوله .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : الجهاد فى سبيل الله .

---

(١) رواه مسلم .

قيل: ثم ماذا .

قال . حج مبرور (١) .

وروى ابن حبان في صحيحه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الأعمال عند الله تعالى : ايمان لا شك فيه ، وغزو لا غلول فيه ، وحج مبرور » .

« المبرور » : قيل هو الذى لا يقع فيه معصية .

وقد جاء من حديث جابر مرفوعا ، أن بر الحج ، اطعام الطعام وطيب الكلام . وعند بعضهم : « اطعام الطعام ، وافشاء السلام » .

ومما لا شك فيه أن ذلك من بر الحج .

ولقد حدد الله سبحانه بر الحج بقوله تعالى :

« فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج » .

وفد الله :

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الغازى في سبيل الله ، والحاج ،

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

والمعتمـــــر ، وفد الله .. دعاهم فأجابوه ، وســــألوه فأعطاهم » (١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم » (٢) .

وروى ابن خزيمة ، وابن حبان ، فى صحيحيهما ، ولفظهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« وفد الله ثلاثة : الحاج ، والمعتمر ، والغازى » ..

وقدم ابن خزيمة « الغازى » .

ثمار الحج المبرور :

ونعود الى الحديث عن الحج المبرور وعن ثماره :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » (٣) .

---

(١) رواه ابن ماجه ، واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه .
(٢) رواه النسائى وابن ماجه .
(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وزاد الأصبهانى :

« وما سبح الحاج من تسبيحة ، ولا هلل من تهليلة ، ولا كبر من تكبيرة ، الا بشر بها تبشيرة » .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ، .. قيل : وما بره ؟ .. قال : اطعام الطعام ، وطيب الكلام » (١) .

وفى رواية لأحمد والبيهقى : « اطعام الطعام ، وافشاء السلام » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (٢) .

وفى رواية للترمذى .. أنه قال : « غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله

---

(١) رواه احمد والطبرانى فى الاوسط باسناد حسن ، وابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى ، والحاكم مختصرا ، وقال صحيح .

(٢) رواه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وابن ماجه .

صلى الله عليه وسلم قال : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفى الكير خبث الحديد ، والذهب ، والفضة . وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة . وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه » (١) .

وعن عبد الله بن جراد الصحابى ـ رضى الله عنه ـ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حجوا ، فان الحج يغسل الذنوب ، كما يغسل الماء الدرن » .

اشهر الحج :

يقول الامام البخارى :

« باب قول الله تعالى : ((**الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج**)) ، ((**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج**)) .

وقال ابن عمر رضى الله منهما :

---

(١) رواه الترمذى وقال . حديث حسن صحيح .

اشـــهر الحج : شـــوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذى الحجة .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما :

« من السنة أن لا يحرم بالحج الا فى أشهر الحج » .

الاســـتطاعة :

وعند الترمـــذى عن ابن عمر ، جاء رجل فقـــال : « يا رسول الله ! . . . ما يوجب الحج ؟ . . . قال : الزاد والراحلة » .

وتزودوا :

قال الامام البخارى :

« باب قول الله تعالى » :

« وتزودوا فان خير الزاد التقوى » .

حدثنا يحيى بن بشر بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

وكان أهل اليمن يحجون ، ولا يتزودون ، ويقولون : نحن المتوكلون ، فاذا قدموا مكة ســـألوا الناس ، فانزل الله تعالى : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » .



الفصـــل الثـانى

الإحرام



الميقات :

الميقات : هو المكان الذى حددته السنة الشريفة لابتداء اعمال الحج . وميقات المصريين الذين يركبون الطائرة يجوز أن يكون من بيوتهم ، وهو أيسر لهم ، أو من المطار .

اما ركاب البواخر ، فان ميقاتهم من رابغ . وتبدأ **اعمال الحج بالاحرام .**

انواع الاحرام :

عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت :

« خرجنا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عام حجة الوداع ، فمنا من اهل — اى احرم — بعمرة ، ومنا من اهل بحجة وعمرة ، ومنا من اهل بالحج ، واهل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالحج .

فاما من اهل بعمرة فحل ، وأما من أهل بحج ، أو جمع الحج والعمرة ، فلم يحلوا ، حتى كان يوم

النحر » (١) .

وقول السيدة عائشة رضوان الله عليها : « فمنا من أهل بعمرة » .. أى أحرم ناويا العمرة .

وهكذا فى بقية الحديث .. ومعنى : « فأما من أهل بعمرة فحل » أى انه بعد اداء العمرة لبس ملابسه المادية وأصبح يحل له ما كان ممنوعا بسبب الاحرام .

وهذا الاحرام يتهيأ له الحاج بعدة أمور .. منها :

١ ـ أن يحلق شعره أو يقصره .

٢ ـ أن يقص أظافره .

٣ ـ أن يستحم ناويا بذلك غسل الاحرام وهو سنة ..

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه ، « أن النبى صلى الله عليه وسلم ، تجرد لاهلاله واغتسل » (١) .

٤ ـ أن يمس الطيب ، عن عائشة رضى الله عنها قالت :

---

(١) اخرجه البخارى فى كتاب الحج ومسلم فى كتاب الحج .

(١) رواه الترمذى وحسنه .

« كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل أن يحرم ، ولحله قبل أن يطوف بالبيت » (١) .

وقال عثمان بن عروة : سمعت أبى يقول ، سمعت عائشة تقول : « طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه ولحله .. قلت لها : بأى طيب ؟ .. قالت : « بأطيب الطيب » .

وروى الامام احمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت « كأنى أنظر الى وبيص (٢) الطيب فى مفرق النبى صلى الله عليه وسلم بعد أيام وهو محرم » .

يقول ابن كثير :

« فهذه الاحاديث دالة على انه عليه السلام تطيب بعد الغسل اذ لو كان الطيب قبل الغسل لذهب به الغسل ولما بقى له اثر ولا سيما بعد ثلاثة أيام من يوم الاحرام » .

والطيب يستعمل قبل الاحرام ، اما بمجرد الاحرام فانه يحرم استعمال الطيب .

---

(١) متفق عليه .
(٢) اى بريقه .

٥ - ان يلبس ملابس الاحرام :

وملابس الاحـــرام معروفــة ، وقد اصطلح أكثر الناس على لبس ازار ، ورداء من القطن الأبيض .

انهم يتزررون : (والازار هو الذى يستر الانســان من وسطه الى أسفل جسده) .

ويرتدون : (والرداء هو الذى يستر النصف الأعلى من الانسان) ببشكيرين .

عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما يلبس المحرم من الثياب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تلبسوا القمص ، ولا العمائم ، ولا السراويلات ولا البرانس ، ولا الخفــاف ، الا أحــد لا يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أســفل من الكعبين ، ولا تلبسوا من الثياب شيئا مسه الزعفران ولا الورس » (١) اهـ .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ، والزعفران والورس ، نوعان يقصد بهما الطيب ، قال ابن العربى : نبه على اجتناب الطيب وما يشبهه فى ملاءمة الشم ، فيؤخذ منه تحريم أنواع الطيب على المحرم ، وهو مجمع عليه فيما يقصد به التطيب .

أما اذا لم يجد ملابس الاحرام فانه يلبس السراويل .. فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يقول : السراويل لمن لم يجد الازار ، والخفان لمن لم يجـد النعلين يعنى المحـرم .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من لم يجد نعلين فليلبس خفين ، ومن لم يجـد ازارا فليلبس سراويل » .

ويقول الامام النووى فى ذلك :

« السراويل لمن لم يجد الازار ، والخفان لمن لم يجد النعـلين » يعنى المحرم .. هـذا صريح فى الدلالة للشافعى والجمهور فى جواز « لبس السراويل للمحرم اذا لم يجد ازارا » .

ويجمع الامام النووى بين الأحاديث بقوله :

« أما حديث ابن عمر فلا حجة فيه ، لأنه ذكر فيه حالة وجود الازار ، وذكر فى حديث ابن عبـاس وجابر حالة العدم فلا منافاة . والله أعلم » .

أما ملابس احرام المرأة : فانهـا الملابس السابغـة السـاترة التى لا تغطى الوجه ، ولا اليدين .

٦ - فاذا ما تم له ذلك يتوب الى الله توبة خالصـة نصوحـا ، ليستقبل الاحرام طـاهر النفس والجسـد .

٧ - صلاة ركعتين بنية سنة الاحرام ، فان عبد الله بن عمر رضى الله عنهمـا كان يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يركع بذى الحليفة ركعتين .

٨ - وكل هذا انما هو استعداد للاحرام ، والاحرام هو ان ينوى الحج بقلبه ، انه عقد النية على الحج ، واذا شاء قال :

« اللهم انى نويت الحج فيسره لى وتقبله منى »
أو « اللهم انى نويت العمرة فيسرها لى وتقبلها منى » .

ثم يلبى : عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم كان اذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذى الحليفة (ميقات المدينة المنورة) أهل فقال : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »

ان التلبيــة هى الشــعار الدائم للحاج الى أن يرمى الجمار ، وقد بين العلماء معنــاها بعبارات تختلف فى الألفاظ وتتحد فى الجوهر .. وقد ذكر الامام النووى(١) بعض هذه المعانى ، ونلخص ما ذكر فيما يلى :

التلبية : معناها : اجابة بعد اجابة ولزوما لطاعتك .

وقيل : معناها : اتجاهى وقصدى اليك مأخوذ من قولهم دارى تلب دارك اى تواجهها .

وقيل : معناها : محبتى لك مأخوذ من قولهم : امرأة لبة اذا كانت محبة لولدها عاطفة عليه .

وقيل : معناها : اخلاص لك .. مأخوذ من قولهم .. حب الباب : اذا كان خالصا محضا .. ومن ذلك لب الطعام ولبابه .

وقيل : معناها : أنا مقيم على طاعتك واجابتك .. مأخوذ من قولهم : لب الرجل بالمكان وألب .. اذا أقام فيه . قال ابن الانبارى : وبهذا قال الخليل ..

قال القاضى : قيل هذه الاجابة لقوله تعالى لابراهيم صلى الله عليه وسلم : ((وأذن فى الناس بالحج)) .

(١) مسلم جـ ٨ ص ٨٧ .

وقال ابراهيم : فى معنى لبيك : اى قربا منك وطاعة ، والألباب : القرب .

وقال أبو نصر : معناه : انا ملب بين يديك ، اى خاضع ويرفع صوته بالتلبية : وقد ذكرنا كل هذه الاقوال ليتبين للقارىء المعنى الصحيح للتلبية .. انه كل هذه المعانى ..

عن خلاد بن السائب عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبرائيل فأمرنى أن آمر أصحابى أن يرفعوا اصواتهم بالاهلال والتلبية » (١) وزاد ابن ماجه : « فانها شعار الحج » .

اما المرأة فانها لا ترفع صوتها بالتلبية ..

ويكثر من التلبية :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما اهل مهل قط الا بشر ، ولا كبر مكبر قط الا بشر » .

قيل : يا رسول الله بالجنة ؟ .

---

(١) رواه مالك وابو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وابن خزيمة فى صحيحه .

قال : نعم » (١) .

وفى رواية للبيهقى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما أهل مهل قط الا آبت الشمس بذنوبه » .

فاذا ما فعل ذلك ، فقد صار محرما ، وعليه أن يلتـزم بالتزامات المحرم : أن لا يحلق شـعره ، وأن لا يستعمل الطيب ، وأن لا يقص أظافره ، وأن لا يغطى رأسه ، وأن لا يتصل بزوجته . . والآية القرآنية تقول :

« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج »

ولا يقتل الصيد : يقول سبحانه : **« يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتـله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما ، ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام » (١) .**

---

(١) رواه الطبرانى فى الاوسط باسنادين رجال احدهما رجال الصحيح .

(٢) سورة المائدة آية ٩٥ هـ

مما لا يحرم على المحرم :

قال ابن عباس رضى الله عنهما ـ فيما يروى البخارى رضى الله عنه ـ « يشم المحرم الريحان ، وينظر فى المرآة ويتداوى ، ويأكل الزيت والسمن » .

وقال عطاء : يتختم ويلبس الهميان (الحزام) .

وطاف ابن عمر رضى الله عنهما وهو محرم وقد حزم على بطنه بثوب . ولم تر عائشة رضى الله عنها بأسا بالحلى والثوب الأسود ، والورد ، والخف للمرأة .
وقال ابراهيم : لا بأس أن يبدل ثيابه .

الفصل الثالث

مكة.. فضلها والمناسك فيها


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« مكة »

وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على مشارف مكة ليلة الهجرة ، ونظر الى المدينة المباركة ، وقال :

« انك لخير أرض الله عز وجل ، وأحب بلاد الله تعالى الى ، ولولا أنى اخرجت منك لما خرجت » .

وقالها فى عودته اليها .

وكيف لا ؟ . . والنظر الى البيت عبادة ، والحسنات فيها مضاعفة . .

حرمة مكة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس . فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« ان الله حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها

رسوله والمؤمنين ، وانها لم تحل لأحد كان قبلى ، وانما احلت لى ساعة من نهار ، وانها لن تحل لأحد بعدى فلا ينفر صيدها ، ولا يختلى شوكها ، ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين » فقال العباس :

الا الاذخر .

فقام ابو شاه « رجل من اهل اليمن » فقال :

اكتبوا لى يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اكتبوا لأبي شاه » .

قال الوليد :

فقلت للأوزاعي : ما قوله : « اكتبوا لى يا رسول الله ؟ » قال :

هذه الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يرواه ابن عباس — يوم الفتح — فتح مكة :

---

(١) متفق عليه .

« ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ، ولم يحل لى الا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته الا لمن عرفها ، ولا يختلي خلاها ، فقال العباس :

يا رسول الله !.. الا الاذخر ، فانه لقينهم ولبيوتهم فقال : الا الاذخر » .

ويروى الامام البخارى ما يلى :

باب فضل الحرم ... ، ... وقوله تعالى :

« انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين » (١) .

وقوله جل ذكره :

« اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ، ولكن اكثرهم لا يعلمون » (٢) .

---

(١) النمل آية : ٩١ .
(٢) القصص آية : ٥٧ .

ومن على بن عبد الله بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم فتح مكة :

« ان هذا البلد حرمه الله ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته الا من عرفها » .

الصلاة فى الحرمين :

عن ابن الزبير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة » (١) .

المعاصى فى مكة :

« ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم »

---

(١) رواه احمد وصححه ابن حبان .

يقول ابن مسعود رضى الله عنه :

« ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل الا مكة ، وتلا قوله تعالى :

« ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » (١)

أى انه على مجرد الارادة : ارادة الظلم ، والتعدى على أى وجه كان .

يقول الامام الغزالي :

« ويقال ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات » .

وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول :

« الاحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم ، وقيل الكذب ايضا .

وقال ابن عباس :

« لأن اذنب سبعين ذنبا فى غير مكة ، أحب الى من أن اذنب ذنبا واحدا فى مكة » .

---

(١) الحج آية ٢٥ .

الاتجاه الى البيت الحرام :

فاذا ما وصل بتوفيق الله الى مكة ، واطمأن على متاعه ، اتجه الى البيت الحرام ، ويدخل البيت قائلا :

« باسم الله ، والله أكبر ،

باسم الله ، وبالله ، ومن الله ، والى الله ، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ويقول :

« اللهم زد هذا البيت تشريفا ، وتعظيما ، وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ، ممن حجه ، او اعتمره ، تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا » .

ويقول :

« اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام » .

ويبدأ الطواف : يبدأ طواف العمرة ، ان كان احرم بالعمرة ، وطواف القدوم ان كان أحرم بالحج .

ويبدأ الطواف : مستلما الحجر الأسود ، او مقبلا

له ، أو مستقبلا له ، مشيرا اليـــه ان لم يتمكن من تقبيله ، أو لمسه .

عن عمر بن الخطاب ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

« يا عمر : انك رجل قوى ، لا تزاحم على الحجر فتـــؤذى الضعيف ان وجـدت خلوة فاســـتلمه ، والا فاستقبله وكبر » (١) .

وعن ابى يعفور العبـــدى واسمه وقدان قال ، سمعت رجلا من خزاعة حين قتل ابن الزبير وكان اميرا على مكة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : يا ابا حفص : انك رجل قوى ، فلا تزاحم على الركن فانك تؤذى الضعيف ، ولكن ان وجدت خلوة فاستلمه والا فكبر وامض (٢)

ويطوف مبتدئا من الحجر الأسود ســبعة أشواط مختتما بالحجر الأسود فى النهاية . ويبتدىء الطواف

---

(١) ابن كثير جـ ٤ ص ٣١٨ فى سيرته

(٢) ابن كثير جـ ٤ ص ٣١٨ فى سيرته

فى الاول ، وفى كل مرة ، وهو مستقبل للحجر الأسود ، قائلا فى كل شوط :

بسم الله ، والله اكبر ، باسم الله ، وبالله ومن الله ، والى الله ، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

ويدعو الله أثناء طوافه بما شاء من الدعاء ، ويكثر من الاستغفار ، ويؤكد العزم على التوبة .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قوله تعالى :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » (١)

ويمكن للطائف ان يكرر :

« ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (٢)

ويكرر :

« ربنا عليك توكلنا ، واليك انبنا ، واليك المصير » (٣)

---

(١) البقرة : ٢٠١ ، (٢) الاعراف : ٢٣ ، (٣) الممتحنة : ٤

ويكرر أيضا :

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رءوف رحيم » (٤)

ويكرر أيضا :

« ربنـا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا ، ربنـا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنـا ، واغفر لنـا ، وارحمنـا ، أنت مولانا فانصرنا على القـوم الكافرين » (٥)

وليس هنـاك دعاء معين محتم لكل شوط من اشواط الطـواف ، وخير ما يدعى به انما هو الدعاء القرآني أو الدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ومن الأدعية الطيبة أن يقول الحاج حينما يستقبل الحجر الأسود :

---

(٤) الحشر : ١٠ ، (٥) البقرة : ٢٨٦

« بسم الله ، والله اكبر .. اللهم ايمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيك ورسولك ، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم » ..

فاذا ما حاذى باب الكعبة قال :

« اللهم ان البيت بيتك ، والحرم حرمك ، والأمن أمنك ، وهو مقام العائذ بك من النار - مشيرا الى مقام ابراهيم عليه السلام ، وهو على يمينه - فأعذنى من النار » ..

فاذا ما وصل الى الركن العراقى - وهو على يساره على فتحة الحجر بعد باب الكعبة ، قال :

« اللهم انى أعوذ بك من الشك والشرك ، والشقاق والنفاق ، وسوء الأخلاق ، وسوء المنقلب فى الأهل والمال والولد » ..

فاذا ما حاذى الميزاب - الذى يطل على حجر اسماعيل من فوق الكعبة - قال :

« اللهم اظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ، واسقنا من كأس سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -

شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها ابدا ، يا ذا الجلال والاكرام » ..

فاذا ما وصل الى الركن الشامى قال :

« اللهم اجعله حجا مبرورا ، وذنبا مغفورا ، وسعيا مشكورا ، وعملا مقبولا ، وتجارة لن تبور » ..

وعند الركن اليمانى ، يقول :

« اللهم انى اعوذ بك من الكفر والفقر ، ومن عذاب القبر ، واسألك العفو والعافية ، فى الدين والدنيا والآخرة » ..

وبين الركن اليمانى والحجر الأسود ، يقول :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ..

ويستمر هكذا فى كل دورة من دورات الطواف .

وبعد ان ينتهى الطواف يصلى ركعتين بنية سنة الطواف ، يصليهما فى مقام ابراهيم ، فان لم تتيسر له الصلاة فى مقام ابراهيم صلاهما فى اى مكان آخر من البيت ..

ثم يتوجه الى بئر زمزم ويشرب منه ، وماء زمزم لما شرب له ، فيدعو عند شربه بما شاء ..

ثم يتوجه الى السعى ، مبتدئا من الصفا ، صاعدا فوقه ، مستقبلا الكعبة ، بادئا بباسم الله ، والله أكبر .

ويتجه الى المروة فيصعد فوقها ، ويستقبل الكعبة ويبتدىء النزول بباسم الله ، والله أكبر ، متجها الى الصفا .

وهكذا الى أن تتم سبعة أشواط ما بين الصفا والمروة ويدعو فى أثناء ذلك بما شاء من الدعاء .

ومن الأدعية المأثورة فى ذلك :

« رب اغفر وارحم ، واعف عما تعلم ، انك أنت الأعز الأكرم » .

ولقد ورد فى كتب السنة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما دنا من الصفا قرأ : « ان الصفا والمروة من شعائر الله »

ثم قال : ابدأ بما بدأ الله به .

فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت ؛

فاستقبل القبلة ، فوحد الله وكبره وقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير . لا اله الا الله وحده ، انجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

ثم دعا بعد ذلك ، فقال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نزل ، حتى اذا انصبت قدماه فى الوادى رمل ، حتى اذا صعد مشى حتى اتى المروة فرقى عليها ، حتى نظر الى البيت فقال عليها كما قال على الصفا (١) .

وعن حبيبة بنت ابى تجراة قالت :

دخلت دار حصين فى نسوة من قريش ، والنبى صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة ، قالت :

وهو يسعى يدور به ازاره من شدة السعى ، وهو يقول لأصحابه : « اسعوا ان الله كتب عليكم السعى » (٢) .

والمراد بالسعى ها هنا : هو الذهاب من الصفا الى المروة ومنها اليها .

---

(١) ابن كثير جـ ٤ ص ٣١٩ .

(٢) سيرة ابن كثير جـ ٤ ص ٣٢٠ .

وليس المراد بالسعى ها هنـا الهرولة والاسراع ، فان الله لم يكتبه علينا حتما بل لو مشى الانســان على هيئته فى السبع الطوافات بينهما ، ولم يرمل فى المسيل اجراه ذلك عند جماعة العلماء لا نعرف بينهم اختلافا فى ذلك .

وقد نقله الترمــذى رحمه الله عن اهل العلم ، ثم قال : حدثنا يوسف بن عيسى ، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السـائب ، عن كثير بن جهمان قال :

رايت ابن عمر يمشى فى المســعى فقلت : اتمشى فى السعى بين الصفا والمروة ؟

فقال : لئن سعيت فقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى ولئن مشيت لقد رايت رســول الله صلى الله عليه وسلم يمشى ، وانا شيخ كبير » (١) .

وقال ابو داود : حدثنا ابو سلمة موسى ، حدثنا حماد ، انبــأنا ابو عاصم الغنوى عن ابى الطفيــل قال . قلت لابن عباس :

---

(١) سيرة ابن كثير جـ ٢ ص ٣٢٠ .

« يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمل بالبيت وأن ذلك من سنته » قال :

« صدقوا وكذبوا » .. فقلت : « ما صدقوا وما كذبوا » ؟ قال :

« صدقوا : رملَ رسول الله ، وكذبوا : ليس بسنة ؛ ان قريشا قالت زمن الحديبية : دعوا محمدا وأصحابه حتى يموتوا موت النغف ـ النغف : الدود : وهو يضرب للمستحقر ـ فلما صالحوه على أن يحجوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمشركون من قبل قعيقعان ، فقال رسول الله لأصحابه : « ارملوا بالبيت ثلاثا ، وليس بسنة » قلت : « يزعم قومك أن رسول الله طاف بين الصفا والمروة على بعير ، وأن ذلك سنة .. قال : صدقوا وكذبوا » قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال :

صدقوا : قد طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وكذبوا : ليست بسنة .. كان الناس لا يدفعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يصرفون عنه ،

فطاف على بعير ليسمعوا كلامه ، وليروا مكانه ، ولا تنال أيديهم « هكذا رواه أبو داود » (١) .

ويمكن أن يدعو بما سبق أن ذكرناه فى أدعية الطواف .

وحينما يتم السعى بين الصفا والمروة يكون الحاج بذلك قد أتم العمرة ، فليست العمرة إلا طوافا وسعيا .

ويتحلل الحاج من عمرته ، فيحلق ـ إذن ـ رأسه أو يقص من شعره ويحل له إذن كل شيء كان محظورا : الطيب ، لبس المخيط ، وغير ذلك . ويسمى هذا بالتمتع .

وعلى المتمتع شكر الله تعالى .. وشكر الله على التمتع هو ما بينه سبحانه بقوله . « فمن تمتع بالعمرة الى الحج ، فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » (١) .

---

(١) سيرة ابن كثير جـ ٤ ص ٢٢٥ .
(١) سورة البقرة آية ١٩٦ .

وفى اليوم الثـامن من ذى الحجـة ، ويسمى يوم التروية يحرم من جديد ، بالطريقة التى بيناها سابقا .

هذا اذا كان قد تمتع ، أما اذا كان قد أحرم بالحج من قبل ، فلا يحرم من جـديد ، وانما يذهب الى منى ليبيت فيها .

روى أبو داود بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم التروية والفجر يوم عرفة بمنى .

وهذا المبيت : هو سنة ، فان شاء ذهب الى منى متبعا للسنة ، وان شاء أقام بمكة ولا اثم عليه .

فاذا ما كان اليوم التاسع توجه من منى أو من مكة الى عرفات .



الفصل الرابع

إلى عرفات



يوم عرفة : هو التاسع من ذى الحجة . . وعرفات : هو المكان المرتفع المنبسط على اثنى عشر ميلا من مكة ، وهو موقف الحاج فى ذلك اليوم ، وهو اسم فى لفظ الجمع . . سميت بذلك :

١ - لأن آدم وحواء تعارفا بها .

٢ - او لقول جبريل لابراهيم عليهما السلام لما علمه المناسك ، اعرفت ؟

قال عرفت :

٣ - او لانها مقدسة معظمة كأنها عرفت - اى طيبت ، والعرف : الريح الطيبة (١) .

ومن اجل ما يروى فى سبب التسمية انه لتعرف العباد الى الله بالعبادات والأدعية .

---

(١) لقد قيل فى تفسير قوله تعالى (عرفها لهم) طيبها لهم .

فضل يوم عرفة :

عن عائشة ـ رضى الله عنهـا ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة » (١) ..

وفضل يوم عرفة مشهور : فيه تنزل الرحمة أرسالا أرسالا ، وفيه يتجاوز الله عن الذنوب صغرت أو عظمت ..

ولقد روى الامام مالك ـ بسنده ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ، ولا أغيظ منه فى يوم عرفة) . وما ذاك الا لما راى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام ..

وفى مسند الفردرس أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

---

(١) رواه مسلم .

« أعظم الناس ذنبــــا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له » ..

ويوم عــرفة هو من الأيــام العشر الأولى من ذى الحجة .. وفى هذه الأيام العشر الأول : يقول رســول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ــ فيما رواه البخــارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنه : (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الأيام ــ يعنى ايام العشر ــ) نرى المســلمين يوم عرفة يجتمعــون ، وقد اختلفت اجناســهم والوانهم ولغــاتهم ، لا يجمعهم الا الدين ، ولا يربطهم الا العبودية لله رب العالمين .

الكل فى مكان واحد ، وزمان واحد ، يبتهلون الى ربهم ليغفر لهم ، ويقبل حجهم ، ويتم نعمته عليهم .. الكل راج خاشع ، داع مبتهل ..

اذا كان يوم عرفة يوم جمعة :

وقال بعض السلف ــ فيما رواه ــ الامام الغزالى فى كتابه الخالد : احياء علوم الدين :

« اذا وافق يوم عرفة يوم جمعــة ، غفر لكم اهل عرفة ، وهو افضل يوم فى الدنيا ، وفيه حج الرسول ــ

صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وكان واقفا اذ نزل قوله عز وجل :

(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) ..

قال اهل الكتاب : لو انزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد ، فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : اشهد لقد انزلت هذه الاية فى يوم عيدين اثنين : يوم عرفة ويوم جمعة .. على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وهو واقف بعرفة ..

قال الامام أحمد : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا ابو العميس ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال : يا امير المؤمنين .. انكم تقرءون آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت اتخذنا ذلك اليوم عيدا .. قال : وأى آية هى ؟ .. قال : قوله تعالى : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)** فقال عمر : والله انى لأعلم اليوم الذى نزلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والساعة التى نزلت فيها

على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عشية عرفة فى يوم جمعة (١) ..

وقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم اغفر للحاج ، ولمن استغفر له الحاج » ..

الحج عرفة :

ولقد ورد عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « الحج عرفة » ..

ولهذه الكلمة مغزاها ومعناها .. وذلك : أن مناسك الحج يمكن فى بعضها التقديم والتأخير ، ويمكن فى بعضها الآخر أن يستعاض عنه بفدية أو بانابة وتوكيل ، عدا الوقوف بعرفة ، فان له وقتا محددا اذا من ولم يقم الانسان فيه بالوقوف بعرفة ، فان حجه يكون قد بطل ..

ومن أجل ذلك ، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « الحج عرفة » ..

ويمكن أن ننظر الى قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

---

(١) ابن كثير (سيرة) جـ ٤ ص ٣٥٢ .

من زاوية اخرى ، هى أن ثمــرة الحج انمــا تجتنى فى عرفة ، ففيــه تجتمــع الأرواح ، وقد تركت بالتــوبة والاحرام والطواف والسعى ، تتجه الى الله فى ضراعة ، وتدعوه ـ سبحانه ـ فى خضوع ، فتفيض الرحمات ، وتنزل على العباد الذين يدعون الله سبحانه وتعــالى ، طالبين المغفرة ..

(واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) (١) ..

ومعنى (الحج عرفة) ايضــا : انه تعرف على الله سبحانه وتعالى مصــدر الخير كل الخير ، ومصــدر النعمة كل النعمة ، ومصدر الكمال على المعنى الصحيح للكمال الانسانى ..

ان الذى يتعرف على الله يصبح من الكمال الانسانى فى الذروة .. وما كانت طريقة التعرف على الله فى يوم من الايام قراءة آراء الفلاســفة ، وهى متضــاربة متعارضة ..

وانما ســبيل التعرف الى الله توبة نصــوح ،

---

(١) البقرة : ١٨٦ .

واستجابة مخلصة ، وطواف بالبيت فى تضرع وابتهال الى رب البيت ، وسياحة من الصفاء الى الرى ، ومن رى يزداد الى صفاء يصفو ، فاذا ما تزكت النفس بكل ذلك يفيض الله سبحانه وتعالى عليها نورا يعرفها به ، فتتعرف عليه وتلتزمه ، وتقف عنـــده ، وتنتهى اليه :

(وأن الى ربك المنتهى) ..

وليس هناك منتهى دون الله سبحانه وتعالى ، وكل ما دونه منتهى مزيف فاسد .. اما المنتهى الحق ، فهو الله سبحانه وتعالى : (ربنا عليك توكلنا ، واليك أنبنا ، واليك المصير) ..

موقف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى عرفات :

يستحب أن يقف عنـــد الصخـــرات المذكورات فى الآثار ، وهى صخرات مفترشـــــات فى أســـفل جبل الرحمـــة ، وهو الجبل الذى يتوســـط أرض عرفات ، فهذا هو الموقف المستحب ..

واما ما اشـــتهر بين العوام من الاعتنـــــاء بصعود الجبل ، وتوهمهم انه لا يصح الوقوف الا فيه فغلط .. بل الصـــواب جواز الوقوف فى كل جــزء من أرض عرفات ..

وأن الفضيلة فى موقف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند الصخرات ، فان عجز فليقرب منه بحسب الامكان ..

عرفة كلها موقف ، ومنى كلها منحر :

عن جابر ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

« نحرت ها هنا ، ومنى كلها منحر ، فانحروا فى رحالكم .. ووقفت ها هنا ، وعرفة كلها موقف ، ووقفت ها هنا ، وجمع موقف » (١) ..

صوم يوم عرفة :

فيما يتعلق بصوم يوم عرفة ، فان الامر يختلف بالنسبة لمن كان مؤديا للحج ، ومن كان مقيما فى بلده .. فالسنة فيما يتعلق بالمقيم ببلده ان يصوم .. فقد روى الامام مسلم ــ بسنده ــ عن أبى قتادة ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سئل عن صوم عرفة ، فقال : (يكفر السنة الماضية والباقية) .. هذا بالنسبة للمقيم ..

---

(١) رواه مسلم .

اما بالنسبة للحاج ، فالسنة ان يفطر .. فلقد روى الشيخان - بسندهما - عن ام الفضل بنت الحارث ان اناسا تماروا - اى اختلفوا - عندها يوم عرفة فى صيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال بعضهم : هو صائم - وقال بعضهم : ليس بصائم قالت : فأرسلت اليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره ، فشرب » .. وافطار الحاج انما هو من اجل ان يقوى على العبادة وعلى المجاهدة فى هذا اليوم المبارك ..

الدعاء يوم عرفة :

روى الترمذى من حديث عمرو بن شعيب ، عن ابيه ، عن جده ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(أفضل الدعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى : (**لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير**)) ..

وللامام احمد - ايضا - عن عمرو بن شعيب ، عن ابيه ، عن جده ، قال :

(كان أكثر دعاء النبى - صلى الله عليه وسلم -

يوم عرفـة : **لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير)** ..

وعن ابن عمر قال : قال رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « دعائي ودعاء الأنبياء قبلي عشية عرفة : **لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير »** ..

وعن على ـ رضى الله عنه ـ قال :

« كان أكثر ما دعا به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عرفة فى الموقف :

اللهم لك الحمد كالذى تقول ، وخير مما نقول .. اللهم لك صلاتى ونسكى ، ومحياى ومماتى ، ولك رب تراثى .. أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر .. اللهم انى أعوذ بك من شر ما تهب به الريح » ..

وقال صلى الله عليه وسلم :

« ان أكثر دعاء من كان قبلى ، ودعائى فى يوم عرفة ، أن أقول :

« لا اله الا الله ، وحــده لا شريك له ، له الملك وله الحمد . وهو على كل شيء قدير » ..

اللهم اجعل فى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى قلبى نورا .. اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى .. اللهم انى أعوذ بك من وسواس الصــدر ، وشتات الأمر ، وشر فتنــة القبر ، وشر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، وشر بوائق الدهر » ..

وعن ابن عبــاس قال : (كان فيما دعا به رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حجة الوداع : اللهم انك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعــلم سرى وعلانيتى ، ولا يخفى عليك شيء من امرى ، أنا البــــائس الفقير ، المستغيث المستجــير . الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنبـــه ..

اسألك مســألة المسكين ، وابتهل اليك ابتهــال الذليل ، وادعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسده ، ورغم لك انفه .. اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رءوفا رحيما ، يا خير المسئولين ، ويا خير المعطين » ..

عن الزبير بن العوام ـ رضى الله عنه ـ قال :
سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بعرفة
يقرأ هذه الآية :

(شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم
قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم) .. وأنا
على ذلك من الشاهدين يارب (١) ..

وينبغى لمن وقف بعرفة أن يدعو بكل هذه الأدعية
التى وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع
بعض الصحابة منها ما لم يسمعه الآخر فنقل كل واحد
منهم ما سمع فجزاهم الله خيراً على نقلهم ما سمعوه عن
الرسول صلى الله عليه وسلم .

خطبة الرسول فى حجة الوداع :

قال ابن اسحاق :

« ثم مضى رسول الله ـ صلى الله علية وسلم ـ
على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن
حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بين فيها ما بين ،
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

---

(١) سيرة ابن كثير : ج ٤ ص ٣٤٩ .

ايها الناس ! .. اسمعوا قولى فانى لا ادرى لعلى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابدا ، ايها الناس : ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا .. وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم .. وقد بلغت .. فمن كان عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .. وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون .. قضى الله أنه لا ربا ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .. وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وان أول دمائكم أضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هزيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية ..

أما بعد ، أيها الناس : فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه ابدا ، ولكنه ان يطمع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ..

أيها الناس : أن النسىء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ..

ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله .. وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم .. ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ..

واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان ، لا يملكن لأنفسهن شيئا .. وانكم انما اخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ..

فاعقلوا ايها الناس قولى ، فانى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، امرا بينا ، كتاب الله وسنة رسوله ..

أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن انفسكم .. اللهم هل بلغت ؟ فذكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم اشهد » ..

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عرفة :

« أيها الناس ، ان الله تطول عليكم فى هذا اليوم ، فغفر لكم ، الا التبعات فيما بينكم .. ووهب مسيئكم لمحسنكم ، واعطى محسنكم ما سأل ، فادفعوا باسم الله » ..

ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر ، فقد فاته الحج ..

وعن عروة بن مضرس ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :

« من شهد صلاتنا هذه ــ يعنى بالمزدلفة ــ فوقف معنا حتى ندفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا ، فقد أتم حجه ، وقضى تفثه » (١) ..

وفى الصحيحين ، عن ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخطب بعرفات : « من لم يجد النعلين فليلبس الخفين ، ومن لم يجد ازارا فليلبس السراويل للمحرم » (٢) .

(١) رواه الخمسة ، وصححه الترمذى ، وابن خزيمة ومعنى قضى تفثه أى اغتسل وتطهر من الاوساخ .

(٢) سيرة ابن كثير ج ٤ ص ٣٤٢ .

وعن عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب بن أسيد الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو واقف بعرفة فى حاجة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقته وان لعابها ليقع تحت رأسى ، فسمعته يقول :

(أيها الناس ، ان الله ادى الى كل ذى حق حقه ، وانه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى الى غير ابيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا) (١) .

وقال البخارى ، حدثنا عبد الله بن مسلمة ، حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، أن عبد الملك بن مروان كتب الى الحجاج بن يوسف أن يأتم بعبد الله بن عمر فى الحج ، فلما كان يوم عرفة جاء ابن عمر وأنا معه حين زاغت الشمس ــ أو زالت الشمس ــ فصاح عند فسطاطه : أين هذا ؟ فخرج اليه ، فقال ابن عمر : الرواح .. فقال : الآن ؟ . قال : نعم . فقال : انظرنى حتى أفيض على ماء (٢) .

(١) سيرة ابن كثير جـ ٤ ص ٣٤٢ .
(٢) سيرة ابن كثير جـ ٤ ص ٣٤٢ .

الفصل الخامس

إلـــ منى



يقول الله تعالى : (**فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم**) (١) ..

والافاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس ، فى اليوم التاسع من ذى الحجة .. ورد فى صحيح الامام مسلم ، فى وصف حجة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انه :

(لم يزل واقفا حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلا ، حتى غاب القرص ، واردف اسامة خلفه) ..

ودفع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد شنق للقصواء الزمام ، حتى ان راسها ليصيب مورك رحله ، وهو يقول بيده اليمنى : ايها الناس ، السكينة ، السكينة حتى اتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء ، بأذان واحد واقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا ، ثم اضطجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر (بالمزدلفة) حين تبين له الصبح بأذان واقامة ، ثم ركب القصواء (ناقته صلى الله عليه وسلم) .. حتى اتى المشعر الحرام (وهو

---

(١) البقرة : ١٩٨ .

جبل معروف فى المزدلفة) .. فاستقبل القبلة ، فدعاه ـ اى دعا الله سبحانه وتعالى ـ وكبره وهلله ووحده ، فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا ـ اى اسفر الصبح ـ فدفع قبل ان تطلع الشمس ، واردف الفضل بن العباس ..

وصل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى جمرة العقبة ... عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال :

« رمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجمرة يوم النحر ضحى ، وأما بعد ذلك (فى الأيام التالية) فاذا زالت الشمس » ..

وعن ابن عباس واسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ قالا :

« لم يزل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يلبى حتى رمى جمرة العقبة » ..

وعن ابن عباس ، عن الفضل قال : « افضت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عرفات ، فلم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة ، يكبر مع كل حصاة ، ثم قطع التلبية مع آخر حصاة ..

وعن قدامة بن عبد الله ، وهو ابن عمار ـ رضى الله عنه ـ قال :

« رايت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يرمى الجمرة يوم النحر على ناقة صهباء ، لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك » .. وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكبر مع كل حصاة ..

ولما رمى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الجمار ، نحر الهدى ..

عن المسور بن مخرمة ــ رضى الله عنه ــ ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نحر قبل ان يحلق ، وامر اصحابه بذلك ..

وعن ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ قال : (رمى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ جمرة العقبة ، ثم ذبح ، ثم حلق) ..

وعن ابن عباس انه قال : « اذا رميتم الجمرة فقد حللتم من كل شيء كان عليكم حراما الا النساء حتى تطوفوا بالبيت .. فقال رجل : والطيب يا ابا العباس ؟ .. فقال له : انى رايت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يضمخ راسه بالمسك ، افطيب هو ام لا ؟ .. »(1)

---

(1) سيرة ابن كثير جـ ٤ ص ٢٧٩ .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« اذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم الطيب وكل شيء الا النساء » (١) .

ثم ركب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأفاض الى البيت فصلى بمكة الظهر ، وطاف ، ثم عاد الى منى ، وتحلل من احرامه ...

هذا الطواف يمكن ان يقوم به الانسان يوم العيد للتحلل من احرامه ، ويمكن أن يؤخره الى ما بعد الانتهاء من أيام الرمى ...

أما فيما يتعلق بأيام الرمى ، فانها يوم العيد ... وفيه يرمى الانسان جمرة العقبة فقط ـ أما فى اليوم الثانى فانه يرمى الجمرات الثلاث ـ وفى اليوم الثالث يرمى الجمرات الثلاث أيضا ـ ثم له بعد ذلك أن يتعجل الذهاب الى مكة ، وله أن يمكث يوما آخر ، يرمى فيه الجمرات الثلاث أيضا ، يقول سبحانه :

« فمن تعجل فى يومين (بعد العيد) فلا اثم عليه ،

(١) رواه احمد وابو داود وفى اسناده ضعف .

ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى ، واتقـوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون» ..

وقت رمي الجمار :

ان امر رمى الجمار أصبح الآن مشكلة من المشاكل الصعبة وذلك لشدة الزحام ومن أجل ذلك أحببنـا أن نضـع أمام القارىء بعض الآراء فى ذلك ».

وقت رمي جمرة العقبة :

يرى الشافعيـة ويرى الحنـابلة أن رمى جمرة العقبة يجوز اذا انتصفت ليلة يوم النحر ، ومع أن ذلك يجـوز ، فان المسنون من بعد طلوع الشـمس الى الزوال (*)

وقت الرمى ايام التشريق :

يرى جمهور الفقهاء أن السنة أن يرمى الجمار فى غير يوم الأضحى بعد الزوال وخالف فى ذلك عطاء وطاوس ، قالا : يجوز قبـل الزوال مطلقا ، ورخص الحنفيـة فى الرمى فى يوم النفر قبل الزوال (عن فتح البارى) وفى كتاب الفروع يروى شمس الدين المقدسى أبو عبد الله محمد بن مفلح أن حنبل نقل أنه يجوز رمى متعجل الزوال وينفر بعده » ويقول :

« ونقل ابن منصور : ان رمى عند طلوعهـا متعجلا ثم نفر ، كأنه لم ير عليه دما » ا هـ .

ويقول عند رمى كل حصاة : باسم الله والله أكبر .
وحصى الرمى يجمع فى المزدلفة قبل الوصول الى منى .

والى هنا أى بعد الرمى وطواف الافاضة تنتهى اعمال الحج ، فيفارق الحاج منى الى مكة .. ثم يقيم الحاج بمكة داعيا مستغفرا ، منيبا طائفا ، متضرعا الى الله ــ سبحانه وتعالى ــ الى أن يحين الذهاب الى المدينة المنورة ، أو الى بلده ان كان قد زار وتشرف بالسلام على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

وكما خطب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى عرفات ، فانه خطب فى منى ، وقد حفظ بعض الصحابة من خطبته مالم يحفظه الآخرون .. ونحن نورد هنا بعضا من مرويات الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ ويبدو أن بعض الأمور ذات الأهمية البالغة التى ذكرها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى خطبته فى عرفات ، قد اعادها فى منى ، وذلك لاهميتها :

عن أبى حرة الرقاشى ، عن عمه قال :

« كنت آخذا بزمام ناقة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أوسط أيام التشريق ، أذود عنه الناس، فقال : « يا أيها الناس ، أتدرون فى أى شهر أنتم ؟ وفى أى يوم أنتم ، وفى أى بلد أنتم ؟ .. قالوا ، فى يوم حرام ، وشهر حرام : وبلد حرام ـ قال : فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ؟ فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا الى أن تلقوه » .

ثم قال :

اسمعوا منى تعيشوا ، الا لاتظلموا .. الا لاتظلموا .. الا لاتظلموا .. انه لايحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس منه .. الا ان كل دم ومال ومأثرة كانت فى الجاهلية تحت قدمى هذه الى يوم القيامة .. وان اول دم يوضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل

الا ان كل ربا فى الجاهلية موضوع ، وان الله قضى أن اول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب ، لكم رءوس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون ..

الا وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، ثم قرأ :

(ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها اربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن انفسكم) (١) ..

الا لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .. الا ان الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكنه فى التحريش بينكم ..

واتقوا الله فى النساء ، فانهن عندكم عوان لايملكن لأنفسهن شيئا ، وان لهن عليكم حقا ، ولكم عليهن حق .. الا يوطئن فرشكم أحدا غيركم ، ولا يأذن فى بيوتكم لأحد تكرهونه ، فان خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .. وانما اخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله .. الا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها الي من ائتمنه عليها ..

وبسط يده وقال : الا هل بلغت ؟ .. الا هل بلغت ؟ .. ثم قال :

---

(١) التوبة : ٣٦ .

« ليبلغ الشاهد الغائب ، فانه رب مبلّغ أوعى من سامع » (١) ..

وعن يحيى بن الحصين قال ، عن جدته أم الحصين قالت : حججت مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حجة الوداع ، فرأيت أسامة وبلالا ، أحدهما آخذ بخطام ناقة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والآخر رافع ثوبه يستره من الحر ، حتى رمى جمرة العقبة ، قالت : فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قولا كثيرا ، ثم سمعته يقول :

« ان أمر عليكم عبد مجدع — حسبتها قالت : أسود — يقودكم بكتاب الله ، فاسمعوا له وأطيعوا (٢) ».

وعن سلمة بن قيس الأشجعي قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في حجة الوداع :

« انما هن أربع : لاتشركوا بالله شيئا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولاتزنوا ، ولا تسرقوا » (٣) ..

(١) سيرة ابن كثير جـ ٤ ص ٤٠٢ .
(٢) سيرة ابن كثير جـ ٤ ص ٣٩١ .
(٣) سيرة ابن كثير جـ ٤ ص ٣٩٢ .

وعن سليمان بن عمرو ، عن أبيه ، قال :

شهدت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حجة الوداع : يقول :

ايها الناس ــ ثلاث مرات ــ اى يوم هذا ؟ .. قالوا : يوم الحج الأكبر .. قال : فان دماءكم واموالكم واعراضكم بينكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، ولا يجن جان على ولده ــ الا ان الشيطان قد يئس ان يعبد فى بلدكم هذا ، ولكن سيكون له طاعة فى بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى ، الا وان كل ربا من ربا الجاهلية يوضــــع ، لكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (١) .

عن أبى امامة قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يومئذ على الجدعاء واضع رجليه فى الغرز ، يتطاول ليسمع الناس ، فقال : بأعلى صوته : الا تسمعون ؟ ..

فقال رجل من طوائف الناس : يارسول الله ؛ ماذا تعهد الينا ؟ .. فقال :

---

(١) سيرة ابن كثير جـ ٤ ص ٣٩٤ .

« اعبدوا ربكم ، وصلوا خمسا ، وصوموا شهركم ، واطيعوا اذا امرتم ، تدخلوا جنة ربكم » (١) ..

---

(١) سيرة ابن كثير جـ ٤ ص ٣٩٥ .



الفصل السادس

من مسائل الحج



اللهم حجة لارياء فيها :

ليس الحج ترفا ، ولا سياحة استمتاعية . ولقد ضرب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المثل فى التقشف ، فى الحج ، وسار على نسقه من اتبع هديه :

عن انس ، ان النبى صلى الله عليه وسلم ، حج على رحل رث ، وقطيفة تساوى ـ أو لاتساوى ـ اربعة دراهم . فقال :

« اللهم حجة لارياء فيها » (١) .

وعن انس ، ان النبى صلى الله عليه وسلم ، حج على رحل رث ، وتحته قطيفة ، وقال :

« حجة لارياء فيها ، ولا سمعة » (٢) .

---

(١) انظرة السيرة لابن كثير جـ ٤ ص ٢١٩ والحديث رواه ابو يعلى الموصلى فى مسنده والبزار بنحوه .
(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير جـ ٤ ص ٢١٨ والحديث رواه البزار فى مسنده .

وعن بشر بن قدامة الضبابى ، قال :

« أبصرت عيناى حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واقفا بعرفات مع النـــاس على ناقة له حمراء قصواء تحته قطيفة بولانية ، وهو يقول :

« اللهم اجعلها غير رياء ، ولا مباهاة ولا سمعة ، والناس يقولون :

- هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

عن ثمـــــامة قال : حج انس على رحـــل رث ، ولم يكن شحيحا » (٢) .

نفقات الحج :

الحج سواء أكان حج الفريضة ، أم كان حج نافلة ، هو قربى الى الله سبحانه وتعالى ، والقربى يجب أن يتحرى الانسان فيها أن تكون بمال حلال .

ومال الزوج بالنسبة للزوجة حلال اذا كان باذنه ،

(١) السـيرة النبوية لابن كثير جـ ٤ ص ٢٢٠ والحـديث رواه البيهقى .

(٢) رواه الامام البخارى .

وعن رضا عنه ، ومالها بالنسبة له حلال اذا كان عن رضا منها وباذنها .

والأمر كذلك فيما يتعلق بمال الوالد ، بالنسبة للولد ، ومال الولد بالنسبة للوالد .

أما المال المهدى من اجنبى ، فللانسان أن يحج منه اذا برىء المال من الشبهة : فلا يكون المال المهدى من تاجر مخدرات مثلا ، او ممن يتجر فى الخمور ، ومادام الله سبحانه وتعالى ، لايوجب الحج على غير المستطيع، فان فى سعة رحمة الله عذرا لمن لم يجد المال الحلال الصافى ، والله طيب لايقبل الا طيبا ..

حج من عليه دين :

ما حكم من حج بيت الله ، وعليه دين ، فهل هى حجة مقبولة ، أم مردودة ؟

يقول الله تعالى :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (١) .

(١) سورة آل عمران آية : ٩٧ .

ومن الاستطاعة : أن توجد النفقة دون أن يكون على الانسان دين للآخرين ، فاذا كان على الانسان دين يستغرق ما معه من نقود ؛ أو يستغرق جزءا من نفقات الحج ، فانه غير مستطيع ، فلا يجب عليه الحج .

واذا كان على الانسان دين ، فحج دون أن يبالى بالدين أو الدائن ، فان حجه مردود عليه وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتشدد جدا فى أداء الدين ، بل كان صلى الله عليه وسلم لا يصلى على المدين ابدا ، فان كان على الميت دين قال :

« صلوا على صاحبكم » فاذا ما سدد دينه ؛ صلى عليه .

ومادام الحج لا يجب الا عند الاستطاعة ، ومادام المدين غير مستطيع ، فالأولى بل الواجب عيه اداء الدين ، ثم الحج عند الاستطاعة .

الحج عن الغير :

روى أبو داود ، وابن ماجه ، وغيرهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ، سمع رجلا يقول :

« لبيك عن شبرمة » . فقال له :

ومن شبرمة ؟

قال : اخ لى ، أو قريب لى .

قال صلى الله عليه وسلم : احججت عن نفسك ؟

قال : لا .

قال : « فحج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة »

وروى الامام مسلم ، بسنده ، عن بريدة ، عن أبيه رضى الله عنهما ، أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت تسألة عن مسائل ، وكان من بينها ان قالت عن أمهـا : « انها لم تحج قط . ثم سألت : افأحج عنها ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : حجى عنها »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن امرأة قالت :

يا رسول الله ، ان فريضة الله على عباده فى الحج ادركت أبى شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة ، افأحج عنـه ؟

قال : نعم » (١)

---

(١) متفق عليه .

وعن لقيط بن عامر رضى الله عنه ، انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

ان أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج ، ولا العمرة ، ولا الظعن ؟

قال : « حج عن ابيك واعتمر » (١) .

اداء النذر عن الغير :

عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، ان امرأة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت :

« ان أمى نذرت أن تحج ، ولم تحج حتى ماتت ، أفاحج عنها ؟

قال : نعم ، حجى عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله ، فالله احق بالوفاء » (٢) .

يقول الامام النووى :

« والجمهور على أن النيابة فى الحج جائزة عن الميت » .

---

(١) رواه ابو داود والترمذى ، وقال حديث حسن صحيح .

(٢) رواه الامام البخارى والامام مسلم .

ويقول :

« ان الجمهور على ان النيابة فى الحج جائزة عن العاجز ، الميئوس من برئه » .

والوضع الطبيعى فى هذه المسألة انه ما دام السائل قد حج عن نفسه ، فانه يجوز له ـ ما دام قد ادى الفريضة ـ ان يحج عن غيره ، العاجز ، أو الميت ، ويجوز فى النيابة فى الحج ان يحج الرجل عن المراة ، والمراة عن الرجل .

ويقول الامام النووى : قال الشافعى :

« يجوز الحج عن الميت ، عن فرضه ونذره ، سواء اوصى به أم لا ، ويجزىء عنه » .

ومذهب الشافعى وغيره ، أن ذلك واجب فى تركته ، ويستوى فى ذلك ان ينوب فى الحج عنه شخص فى مكة ، او فى المدينة ، او فى اقليم آخر ، بعد أو قرب » .

ولا حرج :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضى الله عنه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقف في حجة الوداع ، فجعلوا يسألونه ، فقال رجل :

لم أشعر ، فحلقت قبل أن أذبح ؟ قال :

اذبح ولا حرج .

وجاء آخر فقال : لم أشعر ، فنحرت قبل أن أرمي ؟

قال : ارم ولا حرج .

فما سئل يومئذ ، عن شيء قدم ولا أخر الا قال : « افعل ولا حرج » (١)

بعض ما لا يفعله المحرم :

عن عثمان بن عفان — رضي الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا ينكح المحرم ، ولا ينكح ، ولا يخطب » ..

وعن أبي قتادة الأنصاري — رضي الله عنه — في مصيدة الحمار الوحشي ، وهو غير محرم ، قال : قال

---

(١) رواه الامام مسلم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه ـ وكانوا محرمين :

هل منكم احد امره أو اشـــار اليه بشيء ؟ ..
قالوا : لا ..

قال : فكلوا ما بقى من لحمه (١) ..

دواب يقتلن فى الحل والحرم :

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« خمس من الدواب كلهن فواسق ، يقتلن فى الحل والحرم : العقرب ، والحداة ، والغراب ، والفـأرة ، والكلب العقور » (٢) .

اولئك لهم نصيب مما كسبوا :

سأل رجل ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقال :

انى اكرى نفسي الى مكة ، وقد زعم الناس انه ليس لى حج .. فقال :

---

(١) متفق عليه .
(٢) متفق عليه .

بل انت ممن قال الله فيهم : ((أولئك لهم نصيب مما كسبوا)) ..

وفى رواية ، فقال : « فاذا فعلت المناسك فانت حاج » ..

اذا بلغ الصبى :

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« أيما صبى حج ، ثم بلغ الحنث فعليه أن يحج حجة اخرى ، وأيما عبد حج ثم اعتق ، فعليه ان يحج حجة اخرى » (١)

المحلقون والمقصرون :

روى البخارى ومسلم ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« اللهم ارحم المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله .. قال فى الثالثة : « والمقصرين » (٢) ..

---

(١) رواه ابن شيبة والبيهقى ورجاله ثقات ..

(٢) متفق عليه .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« ليس على النساء حلق وانما يقصرن » (١) .

يبعث ملبيا :

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال :

بينا رجل واقف مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعرفة ، اذ وقع عن راحلته ، فاقصعته ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه بثوبيه ، ولا تخمروا رأسه ، ولا تحنطوه ، فانه يبعث يوم القيامة ملبيا » (٢) .

وفى رواية لهم : ان رجلا كان مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوقصته ناقته وهو محرم ، فمات ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه فى ثوبيه ، ولا تمسوه بطيب ، ولا تخمروا راسه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا » ..

---

(١) رواه ابو داود باسناد حسن .

(٢) « وقصته ناقته » معناه : رمته ناقته فكسرت عنقه ، وكذلك فاقصعته .

وفى رواية لمسلم :

فأمرهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يغسلوه بماء وسدر ، وأن يكشفوا وجهه ، حسبته قال : « ورأسه ، فانه يبعث وهو يهلل » ..

اذا حاضت المراة قبل الطواف :

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت :

« خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لا نذكر الا الحج ، حتى جئنا سرف ، فطمثت فدخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا أبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ فقلت :

والله لوددت أنى لم أكن خرجت هذا العام .. قال : مالك ؟ . لعلك نفست ..

قلت : نعم . قال : هذا شىء كتبه الله على بنات آدم ، افعلى ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت حتى تطهرى ..

قالت : فلما كان يوم النحر طهرت ، فأمرنى ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأفضت .. قالت : فأتينا بلحم بقر ، فقلت : ما هذا ؟

قالوا : اهدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نسائه البقرة » ..

الحج وغفران الذنوب :

روى الشيخان ـ بسندهما ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه » .

وروى الشيخان ـ بسندهما ـ عن ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ، ليس له جزاء الا الجنة » ..

والحج المبرور ، هو الحج الذى يتقبله الله سبحانه ـ والحج الذى يتقبله الله ـ سبحانه ـ هو الحج الذى توفر فيه الاخلاص ..

ويبدأ توفر الاخلاص بالنية نفسها ، نية الحج ..

لا بد أن تكون خالصة لله سبحانه ، فلا يعتبر الانسان الحج دعاية لنفسه ، أو رحلة سياحية للمتعة ، أو رحلة يراد بها غير وجه الله سبحانه بأى وضع من الأوضاع ..

ولا بد أن يصاحب الاخلاص كل أعمال الحج ، ومن أول هذه الأعمال :

التوبة الخالصة النصوح .. التوبة التى تجب ما قبلها من سيئات ومعاصى .. لأنها اقلاع بات عن الذنوب والآثام ، وندم باك على حياة مضت لم يرض الله — سبحانه — عما شابها من سيآت ، وعزم مصمم على الطهر الطاهر النقى بتوفيق الله ، فيما يستقبل من حياة تغير مجراها من خضوع لهوى النفس ونزغات الشيطان ، الى خضوع للخير ، ومتابعة للرحمن ..

ويسجل كل ذلك بلبس الملابس البيضاء النقية بعد الاستحمام ، تطهيرا للظاهر ، ليكون الصفاء شكلا ومعنى ، وتكون الطهارة ظاهرة وباطنة ..

ويسجل ذلك كله نطقا بلسانه ، كما سجله عملا بجوارحه ، وعزما بقلبه ..

فيعاهد الله على الاستجابة له فيما أمر ، وعلى

الاستجابة له فيما نهى ، وعلى أن يكون له وحده ، قائلا سرا وجهرا :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ..

هذا العهد يعلنه اذا كان فى جمع من الناس ، ويعلنه اذا كان منفردا ..

انه يعلنه اذا التقى بصديق ، ويعلنه اذا فارق الصديق .

يعلنه اذا علا مشرفا ، ويعلنه اذا هبط واديا .

انه الشعار ، والطابع ، والسمة ، اياما عدة .. وذلك من أجل ان يصير متمكنا فى النفس فينقلب من تطبع الى طابع ، ومن تخلق الى خلق ، ومن تكلف الى شيء محبوب ..

وبعد : فان اعمال الحج كلها ، انما تهدف الى تحقيق الاستجابة لله ورسوله .. فالحاج وهو داخل الى البيت الحرام ، يعلن أيضا الاستجابة بصورة اخرى انه يبدأ الدخول بقوله :

« بسم الله ، وبالله ، ومن الله ، والى الله ، وفى

سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله – صلى الله عليه وسلم » ..

وليس الطواف نفسه الا محاولة لاعلان استجابة بصورة ثالثة ..

وذلك أن الطائف بالبيت يرجو بطوافه رضاء رب البيت ومغفرته ، وهو يعاهد الله بطوافه ، أن يكون عندما أحب الله ، وأن يكون دائما فى مرضاته ..

فاذا ما تحققت الاستجابة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، تحقق الحج المبرور ، وظفر الانسان بالجزاء ، وهو مغفرة الذنوب ، ودخول الجنة ..

الحج يغسل الذنوب :

« الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن »

والحج – اذن – يحدث من غير شك تغييرا فى الانسان ..

ان من حج تزداد أحواله – على حد تعبير بعضهم – .. انها تزداد من غير شك خيرا ، وتزداد نورا ، وتزداد اشراقا وصفاء وشفافية – وان هذه التلبية

التى ينطق بها الحاج فى كل لحظة ، وان هذه المناسك التى تؤدى ، وان هذه الذكريات التى تمر بالذهن ، وهذا التجرد الكامل لله سبحانه وتعالى ، وهذا الاتجاه اليه بالكيان الانسانى كله ..

ان كل هذا نتيجته : الخير والهداية »

وحتى لو فرضنا ان الحاج لم يؤد المناسك على الوجه الاكمل ، ولا على الطريقة المثلى ، وانما اداها على وجه قريب من ذلك ، فان حجه يحدث فيه تغييرا الى الاحسن والأمثل ان شاء الله تعالى ..

ان الحجاج وفد الله وزواره ، دعاهم فاجابوه ، وسألوه فاعطاهم ، وحق على رب البيت ان يكرم زائره .

« جزاء الحج المبرور »

روى الامام البخارى والامام مسلم ، وغيرهما - بسندهما - عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« العمرة الى العمرة ، كفارة لما بينهما .. والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » (١) .

وكيف يكون الحج كافيا لدخول الجنة ؟

ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يقل : « الحج ليس له جزاء الا الجنة » .

وانما قال : الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة .

والمسألة - اذن - هى تفسير الحج المبرور ، والحج المبرور من أفضل الأعمال .

فقد روى الامام البخارى ، والامام مسلم - بسندهما - عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أن

(١) الحديث حديث صحيح .

رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سئل عن أفضل الأعمال ، فقال :

الايمان بالله ، قيل : ثم ماذا ؟

قال : الجهاد فى سبيل الله .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : حج مبرور »

ومن تفسير الحج المبرور نقول : ان الله سبحانه يقول :

« الحج اشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا ، فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » (١)

ومن شروط الحج المبرور ـ اذن ـ الانتهاء من آثام اللسان التى تتلخص فى الرفث والجدال ، أو الكلام العابث ، والكلام المشاحن .

وفى الانتهاء من آثام الفعل التى عبر الله عنها

---

(١) البقرة آية : ١٩٧ .

بالفسوق ، وهذا المعنى هو ما رواه الامام عبد بن حميد ـ بسنده ـ عن جابر بن عبد الله ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من قضى نسكه ، وسلم المسلمون من لسانه ويده ، غفر له ما تقدم من ذنبه »

فالانتهاء عن الرفث والفسوق والجدال ، هو سلامة المسلمين من لسان الحاج وجوارحه ، وفضلا عن هذا ، فان أعمال الحج تبدأ أول ما تبدأ بالتوبة الخالصة النصوح .

انها تبدا بالندم على ما فات من معاصى ، وبالعزم المصمم ، العزم الذى لا تزعزعه الأعاصير ، على أن لا يأتى الذنب فى المستقبل .

انها تبدا بالنية المؤكدة على أن يستقبل حياة يتزود فيها بالتقوى لينال رضوان الله ..

وما دام الامر كذلك ، فانه يدخل فى نطاق من يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، حسبما يروى الامام البخارى ، والامام مسلم بسندهما عن أبى هريرة : من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه .

الفصل السابع

حجة النبي صلى الله عليه وسلم



وفى نهاية الحديث عن الحج ، نذكر حجة النبى صلى الله عليه وسلم ـ تبركا بها ، وتلخيصا لما سبق ، وايجازا لما مر مفصلا .

وقد كانت هذه الحجة فى السنة العاشرة للهجرة ، وسميت حجة الوداع .. أما سبب هذه التسمية ، فقد رواه الامام البخارى فى صحيحه فقال : وقال هشام بن الغاز ، أخبرنى نافع عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وقف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم النحر بين الجمرات ، فى الحجة التى حج بهذا ، وقال ، هذا يوم الحج الأكبر .. فطفق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن خطب فى الناس ، يقول : « اللهم اشهد ، وودع الناس ، فقالوا : هذه حجة الوداع » .. هذا سبب التسمية . ولقد روى الامام مسلم فى صحيحه هذه الحجة فى شىء من الترتيب والتفضيل ، انه يقول :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، واسحاق بن ابراهيم جميعا عن حاتم ، قال أبو بكر : حدثنا حاتم بن اسماعيل

المدنى ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال :

« دخلنا على جابر بن عبد الله ، فسال عن القوم حتى انتهى الى ، فقلت : أنا محمد بن على بن حسين ، فقال : مرحبا بك يا ابن أخى ، سل عما شئت ، فقلت : اخبرنى عن حجة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال بيده ، فعقد تسعا ، فقال : ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكث تسع سنين (١) لم يحج ، ثم اذن (٢) فى الناس فى العاشرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاج ، فقدم المدينة بشر كثير ، كلهم يلتمس ان يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ويعمل مثل عمله ، فخرجنا معه حتى اتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر ..

فارسلت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كيف أصنع ؟ .. قال : اغتسلى واستثفرى (٣) بثوب واحرمى .. فصلى رسول الله ـ صلى الله عليه

---

(١) اى فى المدينة .

(٢) أعلمهم بذلك واشاعه بينهم .

(٣) الاستثفار : أن تشد فى وسطها شيئا ، وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم ، وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها فى ذلك المشدود فى وسطها .

وسلم ـ فى المسجد ، ثم ركب القصواء (١) ، حتى اذا استوت به ناقتــه على البيــداء (٢) ، نظرت الى مد (٣) بصرى بين يديه ، من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يســاره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين اظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شىء عملنا به ، فأهل بالتوحيد (٤) « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، انّ الحمد والنعمة لك، والملك ، لا شريك لك » ــ وأهل الناس بهذا الذى يهلون به فلم يرد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليهم شيئًا منه ، ولزم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تلبيته ــ قال جابر ــ رضى الله عنه ــ : لسنا ننوى الا الحج ، لسنا نعرف العمرة ، حتى اذا أتينا البيت معه استلم الركن ، فرمل ثلاثا (٥) ، ومشى أربعا ، ثم نفــذ الى مقام ابراهيم ــ عليه السلام ــ فقرأ : (واتخــذوا

---

(١) اسم الناقة .

(٢) الصحراء .

(٣) آخره .

(٤) اى بالتلبية : لبيك اللهم لبيك .. الخ ..

(٥) رمل : اى اسرع .

من مقام ابراهيم مصلى) ، فجعل المقـــام بينـــه وبين وبين البيت ، فكان أبى يقــول ــ ولا أعلمـــــه ذكره الا من النبى ــ صلى الله عليـــه وســـلم ــ : كان يقــرأ فى الركعتين « قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون » ــ ثم رجع الى الركن فاستلمه ، ثم خرج من البـــاب الى الصفا ، فلمـــا دنا من الصفا قرأ : « ان الصـــفا والمروة من شعائر الله » ــ ابدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا ، فترقى (١) عليه ، حتى رأى البيت فاستقبل القبـــلة ، فوحد الله وكبره ، وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمـــد وهو على كل شيء قـــدير .. لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحـــده .. ثم دعا بين ذلك .. قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل الى المـــروة ، حتى اذا انصبت (٢) قدماه فى بطن الوادى سعى حتى اذا صعدنا مشى حتى اتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا ، حتى اذا كان آخـــر طوافه على المـــروة .. فقـــال : لو أنى استقبلت من أمرى ما اســـتدبرت لم أســـق الهـــدى وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل

(١) رقى : صعد .
(٢) أى انحدرت .

وليجعلها عمرة ، فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال : يا رسول الله ! ــ العامنا هذا أم لأبد ؟ ــ فشبك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أصابعه واحدة فى الأخرى وقال : دخلت العمرة فى الحج مرتين ، لا . . بل لأبد أبد وقدم على من اليمن ببدن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فوجد فاطمة ــ رضى الله عنها ــ ممن حل ، ولبست ثيابا صبيغا (١) ، واكتحلت ، فانكر ذلك عليها ، فقالت : ان أبى أمرنى بهذا . . قال : فكان على يقول بالعراق : فذهبت الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ محرشا (٢) على فاطمة للذى صنعت ، مستفتيا لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما ذكرت عنه ، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها ، فقال : صدقت ، صدقت . . ماذا قلت حين فرضت الحج . . قال : قلت : اللهم انى أهل بما أهل به رسولك ، قال : فان معى الهدى فلا تحل . . قال : فكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن ، والذى أتى به النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ مائة ، قال : فحل الناس كلهم وقصروا ، الا النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن كان معه هدى ،

---

(١) اى مصبوغة .

(٢) ذاكرا ما يقتضى عتابها ، ومغريا عليها .

فلما كان يوم التروية توجهوا الى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فصلى بهـا الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة (١) من شعر ، تضرب له بنمرة (٢) ، فسار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تشك قريش الا أنه واقف عند المشعر الحرام (٣) ، كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية ، فأجاز (٤) رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى اتى عرفة ، فوجـد القبـــة قد ضربت له بنمرة ، فنزل بهـــا ، حتى اذا زاغت (٥) ، الشمس امر بالقصواء فرحلت (٦) له ، فأتى بطن الوادى ، فخطب الناس وقال :

« ان دماءكم واموالكم حرام عليـكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هـذا . . الا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ، ودماء الجاهلية

(١) ليبقى لهم شعر يحلق فى الحج .
(٢) اى خيمة كالقبة .
(٣) مكان معروف بجنب عرفات .
(٤) جبل بالمزدلفة .
(٥) جاوز المشعر ومر به ولم يقف .
(٦) مالت الى جهة المغرب .
(٧) وضع عليها الرحل ، وهيئت للركوب .

موضوعة ـ وان أول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة ابن الحارث ـ كان مسترضعا فى بنى سعد ، فقتلته هذيل . وربا الجاهلية موضوع ، واول ربا أضع ربانا : ربا عباس بن عبد المطلب ، فانه موضوع كله .. فاتقوا الله فى النساء ، فانكم اخذتموهن بامان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن (١) فرشكم أحدا تكرهونه ، فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده أن اعتصمتم به ، كتاب الله .. وانتم تسألون عنى ، فما انتم قائلون ؟ ـ قالوا : نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت ، فقال باصبعه السبابة ، يرفعها الى السماء وينكتها (٢) الى الناس .. اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات » ..

ثم اذن ، ثم أقام ، فصلى الظهر ، ثم أقام ، فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا ، ثم ركب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أتى الموقف ، فجعل بطن

---

(١) اى لا يستخلين وينفردن بالرجال ، او لا يأذن بالدخول لاحد تكرهون دخوله رجلا كان او امرأة .

(٢) أى يقلبها ويرددها الى الناس مشيرا اليهم .

ناقته القصواء الى الصخرات ، وجعل حبل (١) المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلا ـ حتى غاب القرص .. وأردف أسامة خلفه .. ودفع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد شنق (٢) للقصواء الزمام (٣) ؛ حتى ان راسها ليصيب مورك (٤) رحله ، ويقول بيده اليمنى : « أيها الناس : ـ السكينة السكينة » (٥) ـ كلما أتى حبلا (٦) من الحبال ارخى لها قليلا ، حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ، ولم يسبح (٧) بينهما شيئا ، ثم اضطجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة

---

(١) مكان اجتماع غير الراكبين .. ويروى جبل المشاة اى طريقهم .

(٢) شنق : أى ضيق وضم .

(٣) ما تقاد به .

(٤) المورك : الموضع الذى يثنى الراكب رجله عليه ، قدام واسطة الرجل ، اذا مل من الركوب ..

(٥) اى الزموا الرفق والطمأنينة .

(٦) المراد : كلما اتى تلالطيفا من الرمل الضخم .

(٧) اى يصل .

ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعاه وكبره ، وهلله ووحده ، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس ، وكان رجلا حسن الشعر ابيض وسيما ، فلما دفع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرت به ظعن (١) يجرين ، فطفق الفضل ينظر اليهن ، فوضع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر ينظر ، فحول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر ، حتى أتى بطن . محسر (٢) ، فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى (٣) ، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها ، مثل حصى الخذف (٤) ، رمى من بطن الوادى ،

---

(١) اى نساء .

(٢) المكان الذى توقف فيه فيل أصحاب الفيل وامتنع من المسير .

(٣) هى جمرة العقبة وهى التى عند الشجرة .

(٤) وهو نحو حبة الباقلاء .

ثم انصرف الى المنحر ، فنحر ثلاثا وستين بيـــده ، ثم أعطى عليـا فنحر ما غبر (١) واشركه فى هديه ، ثم أمر من كل بدنه ببضـــعة (٢) فجعلت فى قدر ، فطبخت ، فأكلا من لحمها ، وشربا من مرقها .. ثم ركب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأفاض (٣) الى البيت ، فصلى بمكة الظهر ، فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمــزم ، فقال : انزعوا (٤) بنى عبــد المطلب ، فلولا أن يغلبكم الناس على ســـقايتكم لنزعت معكم ، فناولوه دلوا فشرب منه » ..

وعنــد هذا ينتهى ما رواه الامام مسلم من حجـة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ..

(١) ما بقى وهو تمام المائة .

(٢) بفتح الباء : أى قطعة .

(٣) المراد : اقبل الى البيت وطاف طواف الافاضة .

(٤) استقوا بالدلاء وانزعوها بالحبال وكانوا يغرفون المــاء من زمزم يملأون به الحياض ، ليشرب الناس .

الفصل الثامن

المدينة المنورة



كان اسمها يثرب ؟ ولو لم يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها ، ولو لم يدخلها الاسلام ، لبقى اسمها كما كان عبر التاريخ ، فلما اضاءت ارجاؤها بنور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سميت « المدينة المنورة » .

ومن اسمائها :

١ - طابة : وفى الصحيح : ان الله سمى المدينة طابة ، فعن جابر بن سمرة فيما رواه الامام مسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ان الله تعالى سمى المدينة طابة » .

٢ - طيبة : سماها به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من الطيب اى الرائحة الحسنة ، والطاب والطيب لغتان بمعنى .

٣ - طيبة : بتشديد الياء .

٤ - جابرة .

٥ - الحبيبة : حكاه ابن خالويه .

٦ - دار الهجرة .

٧ - الايمان : قال ابن أبى خيثمة : الايمان من أسمائها .

وقد ذكر لها صاحب « اعلام الساجد » اكثر من عشرين اسما ، وهذه الأسماء تبين زوايا من خصائص المدينة ومن فضلها .

ومن فضائل المدينة نذكر ما يلى :

فضائل المدينة :

فى حديث حسن يرويه الامام الترمذى بسنده ، عن ابن عمر رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت ، فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامة » .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان :

« لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد :

المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الاقصى » .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة :

« صلاة فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه ، الا المسجد الحرام » .

وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط ، بسنده عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من صلى فى مسجدى اربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار ، ونجاة يوم القيامة » .

وفى الصحيح عن ابن عباس قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأتى مسجد قباء راكبا وماشيا ، فيصلى فيه ركعتين » .

وفى رواية : « كان يأتيه كل سبت ، ويستحب أن يكون ذلك » (١) .

وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال :

« مر بى عبد الرحمن بن ابى سعيد الخدرى ، قال : قلت له :

---

(١) اخرجه مسلم فى صحيحه .

كيف سمعت اباك يذكر فى المسجد الذى اسس على التقوى ؟ قال :

قال ابى : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله : اى المسجدين الذى اسس على التقوى ؟ قال :

فأخذ كفا من حصباء فضرب به الارض ، ثم قال :

هو مسجدكم هذا ، « لمسجد المدينة » ، قال : فقلت : أشهد انى سمعت اباك هكذا يذكره » (١) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة وغيره :

« من صبر على لأواء المدينة وشدتها ، كنت له شهيدا ، أو شفيعا يوم القيامة » .

وعن عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انى أحرم ما بين لابتى المدينة ، أن يقطع عضاهها او يقتل صيدها » .

وقال : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

لا يدعها احد رغبة عنها الا ابدل الله فيهـا من هو خير منه ، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهـدها الا كنت له شفيعا . أو شهيدا يوم القيامة » (١) .

وفى الصحيح : « ما بين بيتى ومنبرى روضـة من رياض الجنة » .

وفى رواية للطبرانى : « ما بين حجرتى ومصلاى » .

ومن المشهور : « أن المدينة كالكير تنفى خبثهـا ، وينصع طيبها .

وانه لا يريد أحد اهلها بسوء الا أذابه الله فى النار ، ذوب الرصاص ، او ذوب الملح فى الماء » .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يأتى على النـاس زمان يدعو الرجل ابن عمـه وقريبه ، هلم الى الرخاء ، هلم الى الرخاء ، والمدينـة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

والذى نفسى بيده ، لا يخرج منهم احد رغبة عنها ،

---

(١) رواه الامام مسلم .

الا أخلف الله فيها خيرا منه ، الا ان المدينة كالكير تخرج الخبيث ، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد » (١) .

وانظر الى هذه البصائر المستنيرة التى عرفت للمدينة فضلها فقدرتها :

انظر الى الامام مالك وموقفه منها :

روى عن مالك رضى الله عنه أنه كان لا يركب بالمدينة بغلة ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال :

« لا أطأ راكبا مكانا وطئه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ويقول :

« حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم « حيا وميتا » سواء » . وقد قال تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » (٢) .

---

(١) رواه الامام مسلم .

(٢) سورة الحجرات آية : ٢ .

ويقولَ صاحب اعلام الساجد :

يستحب الغسل لدخول المدينـــة ، قاله أبو بكر الخفاف من قدماء أصحابنا فى كتاب الخصال ــ وصرح به النووى فى مناسكه أيضا .

ومن اجل ما يوضع فى ميزان فضلَ المدينة ما يرويه ابن أبى خيثمة فى تاريخه الكبير عن مالك من أن المدائن كلها افتتحت بالسيف ، والمدينة افتتحت بالايمان .

وعن ســفيان بن أبى زهير قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم :

يفتح الشــام : فيخرج من المدينــة قوم بأهليهم يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

ثم يفتح اليمن : فيخرج من المدينــة قوم بأهليهم يبسون ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

ثم يفتح العراق : فيخرج من المدينــة قوم بأهليهم يبسون ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » (١) .

وعن أبى هــريرة قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه الامام مسلم .

« على انقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلهـا الطاعون ولا الدجال » (١) .

ويقول صاحب « اعلام الساجد » :

ينبغى للزائر الغريب أن يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، كلما دخل المسجد أو خرج .

اللهم بارك لهم :

عن انس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طلحة :

التمس لى غلاما من غلمانكم يخدمنى ، فخرج بى أبو طلحة يردفنى وراءه ، فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل .

وقال فى الحديث : « ثم اقبل حتى اذا بدا له احد ، قال : « هذا جبل يحبنا ونحبه » .

فلما اشرف على المدينة قال :

« اللهم انى احرم ما بين جبليهـا مثل ما حرم به ابراهيم مكة .

---

(١) رواه الامام مسلم .

اللهم بارك لهم فى مدهم وصاعهم » (١) .

وعن انس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اللهم بارك لهم فى مكيالهم ، وبارك لهم فى صاعهم وبارك لهم فى مدهم » (٢) .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما بمكة من البركة » (٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه قال :

كان الناس اذا رأوا اول الثمر جاءوا به الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فاذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

اللهم بارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا .

---

(١) رواه الامام مسلم .

(٢) رواه الامام مسلم فى صحيحه .

(٣) رواه الامام مسلم .

اللهم ان ابراهيم عبــــدك وخليلك ونبيك ، وانى عبدك ونبيك ، وانه دعاك لمكة ، وانى ادعوك للمدينــة بمثل ما دعاك لمكة ، ومثله معه ، قال :

ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر (١) ».

حرمة المدينة :

عن عبد الله بن زيد بن عاصم ، رضى الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان ابراهيم حرم مكة ، ودعا لأهلها ، وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ، وانى دعوت فى صاعها ومدها بمثل ما دعا به ابراهيم لأهل مكة » (٢) .

وعن نافع بن جبير ان مروان بن الحــكم خطب الناس فذكر مكة واهلها ، وحرمتها ، ولم يذكر المدينة وأهلها وحرمتها ، فناداه رافع بن خديج فقال :

ما لى اسمعك ذكرت مكة وأهلها وحرمتها ، ولم تذكر المدينة واهلها وحرمتها ، وقد حرم رسول الله

---

(١) رواه الامام مسلم فى صحيحه .

(٢) متفق عليـه .

صلى الله عليه وسـلم ما بين لا بتيها ، وذلك عنـدنا فى اديم خولانى ، ان شئت اقراتكه ؟

قال : فسكت مروان ، ثم قال : قد سمعت بعض ذلك .

وعن ابراهيم التيمى عن ابيه قال :

خطبنا على بن ابى طالب فقال :

من زعم ان عندنا شيئا نقرؤه الا كتاب الله ، وهـ الصحيفة ، قال :

وصحيفة معلقة فى قراب سـيفه ، فقـد كذب ، فيها : اسـنان الابل ، واشياء من الجراحات ، وفيهـا قال النبى صلى الله عليه وسلم :

المدينة حرام ما بين عير الى ثور ، فمن احـدث فيها حدثا ، او آوى محدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ، ولا عدلا ، وذمة المسلمين واحدة ، يسعى بها ادناهم ومن ادعى الى غير ابيه ، او انتمى الى غير مواليه

فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا (١) » .

ومن عاصم قال : قلت لأنس بن مالك :

احرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؟

قال : نعم . ما بين كذا الى كذا ، فمن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا .

قال : فقال ابن انس : « أو آوى محدثا (٢) » .

الوصول الى المدينة :

فاذا ما وصل الحاج الى المدينة يدخلها قائلا :

باسم الله ، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« رب ادخلنى مدخل صدق ، واخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا (٣) » .

---

(١) رواه الامام مسلم فى صحيحه .
(٢) رواه الامام مسلم فى صحيحه .
(٣) سورة الاسراء آية : ٨٠ .

ويتجه الى المسجد فيصلى ركعتين .

ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فيقف عند وجهه ، وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من اربعة أذرع .

وليس من السنة أن يمس الجدار ، ولا أن يقبله ، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام ، فيقف ويقول :

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، السلام عليك يا أمين الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك يا خيرة الله ، السلام عليك يا أحمد ، السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك يا ماحى ، السلام عليك يا عاقب ، السلام عليك يا نذير ، السلام عليك يا طهر ، السلام عليك يا طاهر ، السلام عليك يا أكرم ولد آدم ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك يا قائد الخير ، السلام عليك يا فاتح البر ، السلام عليك يا نبى الرحمة ، السلام عليك يا هادى الأمة ، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب

الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين ، وعلى ازواجك الطاهرات امهات المؤمنين ، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ، ورسولا عن امته ، وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون ، وكلما غفل عنك الغافلون ، وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه ، كما استنقذنا بك من الضلالة ، وبصرنا بك من العماية ، وهدانا بك من الجهالة .

أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد انك عبده ورسوله ، وامينه وصفيه ، وخيرته من خلقه ، واشهد انك قد بلغت الرسالة ، واديت الامانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت عدوك ، وهديت امتك ، وعبدت ربك حتى اتاك اليقين ، فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين ، وسلم وشرف ، وكرم وعظم ..

وان كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول :

السلام عليك من فلان ، السلام عليك من فلان(1) .

---

(1) احياء علوم الدين للغزالى .

ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، لأن رأسه عند منكب رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر رضى الله عنه عنـد منكب أبى بكر رضى الله عنه .

ثم يتأخر قدر ذراع ، ويسلم على الفاروق عمر ، ويقول :

السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيـا ، والقائمين فى امته بعده بأمور الدين ، تتبعان فى ذلك آثاره ، وتعملان بسنته ، فجزاكما الله خير ما جزى وزيرى نبى عن دينه .

ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين القبر والاسـطوانة اليوم ، ويسـتقبل القبلة ، وليحمد الله عز وجل ، وليمجده ، وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول :

« اللهم انك قد قلت وقولك الحق » :

« ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاسـتغفروا

الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (١) » .

اللهم انا قد سمعنا قولك ، واطعنا أمرك ، وقصدنا نبيك ، متشفعين به اليك فى ذنوبنا ، وما اثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين من زللنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتب اللهم علينا ، وشفع نبيك هذا فينا ، وارفعنا بمنزلته عندك ، وحقه عليك .

اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان .

اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ، ومن حرمك ، يا أرحم الراحمين .

ثم يأتى الروضة ، فيصلى فيها ركعتين ، ويكثر من الدعاء ما استطاع ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى (٢) .

ثم اذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من

---

(١) سورة النساء آية : ٦٤ .

(٢) متفق عليه .

المدينــة ، فالمستحب ان يأتى القبر الشريف ، ويعيــد دعاء الزيارة كما سبق ، ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسأل الله عز وجل ، ان يرزقه العودة اليه ، ويسأل السلامة فى سفره ، ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة (١) .

فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ، ثم اليمنى، وليقل :

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، ولا تجعله آخر العهد بنبيك ، وحط اوزارى بزيارته ، واصحبنى فى سفرى السلامة ، ويسر رجوعى الى أهلى ووطنى ، سالما ، يا أرحم الراحمين .

وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه » اهـ .

وقبل أن نختم هذا الفصل نذكر ان صاحب كتاب « الشامل » حكى الحكاية المشهوره عن العتبى قال

---

(١) احياء علوم الدين .

كنت جالسا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابى فقال :

السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول :

« ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ».

وقد جئتك مستغفرا للذنبى مستشفعا بك الى ربى ثم انشا يقول :

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر انت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الاعرابى فغلبتنى عينى فرايت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال :

« يا عتبى !! .. الحق الأعرابى ، فبشره ان الله قد غفر له ».

خاتمة
في روحانية الحج
وفي السلوك بعد الحج


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان كلمة « الاسلام » التى هى عنوان على دين الله الخالد : تشعر فى وضوح ، بالهدف الذى اراده الله سبحانه وتعالى ، من رسالته التى لم يختلف جوهرها على مر العصور .

هذا الهدف هو : اسلام الوجه لله ، والتسليم له ، والدخول فى رحابه .

وذلك بالنسبة للانسان : كمال . وبالنسبة للمجتمع : امن وطمانينة .

وقد اختلفت وسائل الاسلام فى قيادة الانسان الى اسلام الوجه لله وتعددت ، نظرا لاختلاف طبائع الانسان وتعددها ، وما كانت العبادات فى الاسلام على اختلاف الوانها الا وسائل لتزكية النفس ، وكمال الانسان ، حتى يستأهل لمرضاة الله تعالى ، وحتى يفلح بالقرب من الله ، والانتساب الى عبادة الرحمن :

« قد افلح من زكاها »

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلوا عليهم

آياتك ، ويعلمهم الكتـاب والحكمة ، ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم (١) » .

وان من هـذه العبـادات الحج : انه وسـيلة من اسمى وسـائل قيادة الانسـان الى الله تعالى ، وهو مجموعة رائعة من الرموز الروحية التي تنتهى — اذا اقيمت على وضعها الصحيح — بالمسلم الى الدخول فى المحيط الالهى .

وتبدا اعمال الحج — بتوفيق الله تعالى — بالاغتسال الظاهرى ، بالنظافة الجسمية .

فاذا ما تم ذلك : يتـوب المسـلم توبة خالصـة نصوحا ، نادما على ما فعل من آثام ، مقلعا عن الذنب ، عازما عزما لا يلين ، أن لا يعود الى ذنب ابدا ، متجها بتوبته الى الله تعالى ، طالبـا منه العون والتوفيق ، راجيا مرضاته .

وتأكيدا لهذا التطهر الباطن ، والتطهر الظاهر ، يلبس ملابس الاحرام ، بيضاء ناصعة ، يلبسها على طبيعتها التي نسجت عليها دون أن تدخلها صنعة فتغير

---

(١) البقرة : ١٢٩ .

من معالمها ، او تبدل من اوضاعها : انه يلبسها على الفطرة ، وعلى النقاء ، تاركا ما عساه أن يكون قد تلوث بالأخطاء من ملابس .

ثم يسجل العزم المصمم ، على استمرار الطهر فيمـا يستقبل من أيام بهـذه الكلمـات التى تعبر عن الاستجابة الكاملة لله سبحانه وتعالى :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

ان هذه الاستجابة الى الله سبحانه وتعالى : عهد منه الى الله بالتزام اسلام الوجه له سبحانه ، ويكرر هذا العهد فى كل آونة : يقوله اذا صعد ، ويقوله اذا نزل .

يقوله مصبحا ، ويقوله ممسيا ، فيرتسم فى فؤاده بأحرف من نور الايمان ، ومن سناء الهداية . حتى اذا ما وصل الى البيت الحرام ، فان من السنة : أن يبتدىء الدخول فى المسجد الحرام بالتعبير عن الاستجابة الى الله بصورة أخرى هى :

« بسم الله ، وبالله ، ومن الله ، والى الله ، وفى سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » .

وهذه الكلمات فى روحها ، ومعناها : تلبية واستجابة .

ويبدأ الطواف :

يبدؤه ببسم الله ، والله أكبر .

وما كان البيت ــ هيكلا وبناء ــ فى يوم من الأيام المقصد الأخير للطائفين والعاكفين ، والركع السجود ، وانما هدفهم الأول والأخير ، رب البيت .

ويستلم الحجر الأسود ، والحجر الأسود ، انما هو الحجر الذى بقى يتسم بطابع سيدنا ابراهيم الذى لم يكن يهوديا ، ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما .

والذى تضرع الى الله سبحانه وتعالى ، أن يبعث فى الجزيرة العربية رسولا عربيا هاديا ، ومزكيا فقال :

« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، انك انت العزيز الحكيم (١) » .

---

(١) البقرة : ١٢٩ .

وكان المسلم بهذا الاستلام لهذا الأثر الابراهيمى يعاهد الله على أن لا ينحرف عن الملة الحنيفية ، وأن يكون على من السنين تابعا لهذا الرسول العربى الذى بعثه الله رحمة للعالمين .

إنه يطوف معلقا قلبه وبصره وسمعه وكيانه كله برب البيت .

انه يطوف لعل الستائر ترتفع ، لعل الحجب تتكشف ، لعل الأقنعة تزول ، لعل الباب يفتح ، لعل رب البيت يتفضل بالقبول ، لعل الله يرضى .

انه يطوف خاشعا ، خاضعا ، يدعو ، ويتضرع لعله يشعر بنسمات الرضا ، بنغمات الأنس ، بكأس المحبة ، بسلسبيل المعرفة :

((ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار (١))) .

ويذهب الي السعي : يبتدىء من الصفا : اى من الصفاء من جديد ، ليزداد صفاء ، وليزداد نورا .

---

(١) البقرة : ٢٠١ .

وهكذا من الصفاء الى الرى ، ومن الرى الى الصفاء .

وفيوضات الله لا تنتهى ، ومنحه سبحانه وتعالى لا تحدها حدود .

انه يسعى رحمة بنفسه ، ويسعى ليكون رحمة فى أسرته ، وفى عشيرته ، وفى وطنه ، وفى العالم بأسره .

انه يسعى ليصير رحمة :

((ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من امرنا رشدا (١))) .

ويذهب الى عرفات للتعرف على الله سبحانه وتعالى ، وليقف متلقيا منه سبحانه رحمته .

والحج عرفة كما يقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

انه تعرف على الله سبحانه وتعالى مصدر الخير ، كل الخير ، ومصدر النعمة ، كل النعمة ، ومصدر الكمال على المعنى الصحيح للكمال الانسانى .

---

(١) الكهف : ١٠ .

ان الذى يتعرف على الله : يصبح من الكمــــال الانسانى فى الذروة .

ولما كانت طريقة التعرف الى الله فى الحج : توبة نصــوحا ، واستجابة مخلصـــة ، وطوافا بالبيت فى تضرع ، وابتهالا الى رب البيت ، وسياحة من الصفاء الى الرى ، ومن رى يزداد الى صفاء يصفو .. لما كانت كذلك كانت تزكية للنفس .

فاذا ما تزكت النفس بكل ذلك ، يفيض الله سبحانه وتعالى عليها نورا يعرفها به ، فتتعرف عليه وتلتزمه ، وتقف عنده ، وتنتهى اليه :

« وان الى ربك المنتهى » .

وليس هناك منتهى دون الله سبحانه وتعــالى ؟ وكل ما دونه منتهى مزيف فاسد ، اما المنتهى الحق ؛ فهو الله سبحانه وتعالى :

« ربنــا عليك توكلنــا ، واليك انبنــا ، واليك المصير (١) » .

---

(١) الممتحنة : ٤ .

وتنتهى أعمال الحج بالذهاب الى منى ، والمكث فيها لرجم الشـــيطان مصـــدر الشر : ابليس ، مرة ، ومرة ، ومرة ..

وما كان رجم إبليس الا رجمـــا لعـــامل قوى من عوامل الافساد والمعصية والاثم .

ان المسلم يرجمه مؤكدا بذلك الرجم : انه تخلص الى الأبد من الشر ، ومن المعاصى ، ومن كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى ، وذلك هو العيد حقيقة ، والبهجة والسعادة .

والعيد الاسلامى عقب الحج : انما هو احتفال عام فى الأمة الاسلامية كلها بمن انتهى بهم الحج الى اسلام الوجه لله ، الى الطهر ، الى التزكية ، الى الصفاء ..

ان العيد الأكبر ، انما هو حفل تكريم لمن استقام امرهم على الجادة ، لمن دخلوا بالحج فى عباد الرحمن ، لمن اسلموا وجوههم لله سبحانه وتعالى ، انه .. لمن أسلموا .

بعــد الحج

عن أبى هريرة ــ رضى الله عنــــه ــ فيما رواه البخارى ومسلم ، قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول :

« من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيــــوم ولدته أمه » ..

وعنه ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ قال :

« الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » ..

والحج المبرور هو الذى لا يرتكب صاحبه فيـــه معصية .. وهذا الحديث الأخير مما اتفق عليه البخارى ومسلم ايضا ..

والواقع انه من فضل الله على الأمة الإسلامية ، ان جعل لها منافذ لتطهير النفس وتزكيتها حتى تنــال رضاه الله وتنعم بثوابه ..

ومن النوافذ الكبرى : الحج المبرور ..

وليس من العسير على الانسان أن يخلص وجهة لله ، فى أيام معدودات ، يصبح الانسان بعدها من البراءة والطهر ، كيوم ولدته امه ، خالصا من الدنس ، مبرءا من الآثام ..

هذه التزكية ، وهذا الطهر ، يجب ان يستمرا فيما يستقبله الحاج من عمره .. واذا كان الله قد هيأ للمسلم هذه الفرصة الكبرى ، ليصل بسببها الى المستوى الملائكى فى الطهر ، فانه على المسلم أن يحافظ عليها محافظة تامة ..

ان الانسان فى مفتتح اعمال الحج يتوب الى الله توبة نصوحا ، ويعاهده عهدا يعزم الا ينقضه على ان يسير فى حياته متبعا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعم الله عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

وهو بهذه التوبة يتطهر باطنيا ، ويشفع التطهير الباطنى بتطهير ظاهرى .. وهو : غسل الاحرام .. ويعلن عن اخلاصه فى الطهر الباطن ، والطهر الظاهر ، بالصورة الجميلة ، صورة ملابس الاحرام نقية طاهرة ، بيضاء صافية ، خلت خلوا تاما من الدنس والخبائث .. ويثبت كل ذلك بالشعار القوى الدائم فى الحج :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ؟ ان الحمد والنعمة لك ، والملك ، لا شريك لك » ..

وهو — اذن — منذ البدء ، يتطهر باطنا ، ويتطهر ظاهرا .. ويتطهر بالقول ، ويتطهر بالسلوك .

هذا الصفاء ، وهذا الطهر ، يجب أن يستمرا بعد الحج .. ويجب أن يدوما مدى الحياة .. والعهد الذى عاهد الله عليه من الاخلاص والتقوى يجب أن يلتزمه طيلة حياته .. يقول الله تعالى موجها المسلمين الى التزام عهودهم :

(واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا) (١) .

اما هذه التى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ؟ فانها كل امرأة خرقاء ، ناقصة العقل ، تغزل طول يومها مثابرة دائبة ، وتحكم غزلها ، ثم تنقضه آخر النهار ..

---

(١) النحل : ٩١ ، ٩٢ .

ومثل كل من يعاهد الله ثم لا يوفى بعهده ، مثل هؤلاء النسوة الحمقاوات اللواتى ينقضن آخر اليوم ما غزلن فى أوله . «»

على أن الاخلال بالعهد مع الناس ، يعتبر عند الله من علامات النفاق .. فما بالك بالاخلال بالعهد الذى بين الانسان وربه ؟ لقد بين صلوات الله وسلامه عليه علامات المنافق :

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فيما رواه البخارى ومسلم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن : كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا اؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه فيما رواه الامامان البخارى ومسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا اؤتمن خان » .

على أن هذا الذى يعاهد الله ، ثم ينقض عهده ، انما يقول ما لا يفعل ، وقد هدد الله سبحانه من يفعل ذلك ، وتوعده ومقته :

((يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ • كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)) (١) •

اما اذا تزكى المسلم بالحج ، ثم حافظ على هذه التزكية بعد الحج : فانه ينال السعادة الحقة : انه ينال سعادة الدنيا ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى ، كفل لمن انضوى تحت لوائه ، واهتدى بهديه واتقاه ، طيبة الحياة ، يقول سبحانه :

((من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)) (٢) •

وقد تكفل سبحانه وتعالى باخراج المتقى من كل ما يصادفه من المآزق ، وبأن يرزقه من حيث يدرى ومن حيث لا يدرى :

---

(١) الصف : ٢ ، ٣ •

(٢) النحل : ٩٧ •

« ومن يتق الله يجعـل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » (١) .

على انه بمجرد الابتـداء فى السير الى الله تبـدأ رعاية الله غامرة عامة شاملة .

وهذا الابتداء فى التوجه الى الله انما يكون فى صورة الاستغفار ، والله سبحانه يقول :

« فقلت استغفروا ربكم ، انه كان غفـارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم باموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم انهارا » (٢) .

ويقول تعالى ، فيما قصه حكاية عن سيدنا هود عليه السلام :

« ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليـه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم » (٣) .

هذه الرعاية من الله انما هى فى الدنيـا ، بيد أن

---

(١) الطلاق : ٢ ، ٣ .
(٢) نوح : ١٠ - ١٢ .
(٣) هود : ٥٢ .

رعايته سبحانه لا تقتصر عليها وانما تشملها ، وتتعداها الى رعاية أجل واعظم ، وهى رعايته سبحانه فى الآخرة ، لمن حافظ على عهده ، وأوفى بعقده ، يقول سبحانه وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم » (١) .

وبعد : فان أكرم الناس على الله ، هو أتقاهم له سبحانه ، والأتقى هو الذى تزكى ثم حافظ على التزكية . ولن يضيع الله أكرم الناس عليه ، وكيف ؟ وهو سبحانه اكرم الأكرمين .

---

(١) الأنفال : ٢٩ .



رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧١/١٥٨٦

دار الشعب

٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠.

قرش	جنيه
[illegible]	٢

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م